
حكايات
من تراث البادية

طلال السعيد


ALRawie8


منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



ذات السلاسل

للطباعة والنشر والتوزيع

الكويت - المرقاب - مجمع الاوقاف برج ١٠

الدور السابع شقة ١٠

تلفون الادارة ٢٤٦٦٢٦٦٠ - ٢٤٦٦٢٥٥٠

صندوق بريد : ١٢٠٤١ الشامية

تقديم...

بكل موقف يمر بحياة الإنسان.. يتذكر ماضيه.. تاريخه فيجد أن مثل هذا الموقف قد مر بحياة السلف الصالح قبله.. فيتذكر ماذا عمل من سبقه، وكيف تصرف، فيجد من التراث ما يتناسب والحاضر، ويلمس أن الدنيا بها مواقف تتكرر مع تغير الزمان أو المكان أو الأشخاص، إلا أن المواقف متشابهة إلى حدّ كبير. لذا نجد أن كثيراً من الحكايات والمواقف قد حفظت وإن طرأ عليها بعض التغيير أو التعديل نظراً لاختلاف الرواة وإحساسهم بالمسئولية في نقل الحكاية أو الموقف أو التاريخ.. فمن الرواة من يأخذ من الحكاية ما يتناسب ووضعه. ومنهم من يأخذ منها ما يعني قبيلته ويترك الباقي، ومنهم أيضاً من يذكر الحكاية كما عرفها أو سمعها بدون حذف أو إضافة..

ورغم كل هذا فإن ما يصلنا من هذه الحكايات نلمس به الأصالة: من التصرف العفوي لصاحب الموقف أو بطل الحكاية، ذلك البدوي الأمي الذي لا يعرف الثقافة ولا تهمه القراءة والكتابة قدر ما يهتم بالمرعى الخصب والمرتع المناسب لإبله بعيداً عن الخوف وغارات الغزاة الذين يفخرون بكسبهم ولإبل فلان بن فلان،

بغضّ النظر عن الطريقة حتى وإن كانت نهباً بالليل أو بعد معركة راح ضحيتها كثيرون . .

إلا أنها أساليب الحياة التي اعتادوا عليها رغم وحشيتها في بعض الأحيان، وقسوتها في أحيان أخرى. أما إذا نظرنا من الزاوية الأخرى فلا نستكثر أن يموت أحدهم دون جاره، أو يذبح أحدهم ولده إكراماً لجاره كما فعل ابن سويط شيخ الظفير إكراماً لجاره ابن منديل من بني خالد: القصة المعروفة[1] . .

وغيرها كثيرة تلك الحكايات التي تعرفنا عن قرب بصفاء البدوي ونقائه وعفته وإكرامه لضيفه وتعلقه بالسجايا الحميدة والخصال الطيبة. وهذه الصفات إن لم تكن طبعاً فيه وإن لم تكن سلوكاً إرادياً فإن طبيعة المجتمع البدوي تفرض عليه ذلك فكيف يخون شخص بين مجموعة ترفض الخيانة وتنبذ الخائن؟ وكيف يتردى شخص في البخل بين مجموعة امتازت بإكرام الضيف حتى

---

(١) يستطيع قارىء التراث أن يرى ذلك في قصيدة للحطيئة، الشاعر المخضرم المشهور يصف فيها بدوياً جواداً، صاحب صيد، ألوفاً للفلوات، عندما نابه ضيف. وليس عنده شيء. . يقول الحطيئة:

رأى شبحاً وسط الظلام، فراعه
فلمّا بدا ضيفاً، تسوَّر واهتمّا

وقال ابْنُه لما رآه بحيرةٍ:
أيا أبت اذبحني، ويسِّرْ له طعْمَا

ولا تعتذر بالعُدْم، علّ الذي طرا
يظن لنا مالا، فيوسعنا ذمّا

فروّى قليلاً، ثم أحجم برهةً
وإن هو لم يذبح فتاه، فقد همّا

لو وصلت لدرجة ينحر بها البدوي شاة يحتلبها لأولاده لكي لا يقال أنه لا يكرم ضيفه.. مجتمع أقرب للفضيلة.. تعلم أبناؤه الخصال الحميدة رغم قسوة الحياة.. فجاءت حكاياتهم درجات في سلم الشهامة والرجولة تعلمها البدوي وعلمها وتوارثتها الأجيال على مر السنين..

يبدأ يوم البدوي مع إشراقة الشمس أو قبلها حين يصلي الفجر وينتهي مع صلاة العشاء حين يخلد إلى النوم بعد يوم شاق من العمل المتواصل الذي لا يعرف الراحة أبداً..

بالشتاء يصارع البرد القارص بالمناخ الصحراوي المعروف، وبالصيف يصارع الحر الشديد وشح المياه وقلة الكلأ ورغم كل هذا لا ينسى شيمته وشهامته ونبله أبداً.. حينما يجود بكل ما يملكه ويرزقه الله سبحانه بأفضل منه كقصة حجرف الذويبي من قبيلة حرب حينما أنفق كل ما يملك ولم يجد ما يرحل عليه فقد نحر ناقته كغيرها إكراماً لضيفٍ فأراد جماعته أن يعلموه أن يمسك ورحلوا وتركوه فهو لا يستطيع الرحيل معهم حيث ليس لديه ما يمتطي.. ويضيق به الحال من الغربة والوحدة وقلة ما باليد.. فيصعد قمة جبل ليرى آية من آيات الله عز وجل يرى ذلك الداب «الحنش» الأعمى أمام جحره لا يرى يفتح فمه ويأتي عصفور ويقف على فمه فيلتهمه ويدخل جحره.. فيرتاح حجرف الذويبي لأن الذي رزق هذا الداب الأعمى لن ينساه. فيعود لبيته وبالليل يسمع صوت الإبل فيخرج من مخدعه فإذا هي حول البيت لا راعي لها.. يمتطيها ويلحق بجماعته ويضرب لنا مثلاً هو الآخر.

والحكايات كثيرة.. والأمثلة الرائعة أكثر.. والآن وبعد مرور الزمان وتغير الأحوال بعد أن كان الرجال يضحون بأعمارهم دون الإبل أصبحت الإبل هي التي يضحى بها إكراماً للرجال.. هذه حال الدنيا.. يمضي كل شيء وتبقى تلك الحكايات ذكريات لها معان كبيرة وافية تتعلم منها الأجيال..

في هذا المؤلف حاولت أن أجمع بعضاً من تلك الحكايات المنوعة كانت لدي حينما كنت أقدم برامج البادية بالإذاعة والتلفزيون لأكثر من عشر سنوات. ولأنني ابتعدت، ولأن هذه الحكايات على جانب كبير من الأهمية، وخوفاً من ضياعها حاولت جمع النادر منها بين دفّتي هذا المؤلَّف كنوع من الأمانة بنقل ما لدي من حكايات لأن الذي بالكتب يحفظ أكثر من الذي على صدور الرواة... ولأن أغلب من روى لي تلك الحكايات كانوا كباراً بالسن في ذلك الوقت وبعضهم انتقل إلى رحمة الله والبعض الآخر تقدمت به السن فبدأ ينسى وقلة منهم لا زالوا يشاركون بأجهزة الإعلام..

ولعلني بذلك أخدم جانباً من التراث وأساهم بحفظه من الضياع.. وأقدمه كهدية لجيلنا الحالي والأجيال القادمة بإذن الله لعلهم يجدون به ما ينفع. وإن لم يكن كذلك فيكفي أن نعرف تاريخ أجدادنا ونفخر ونفاخر به ويحق لنا أن نقول ذلك وبالفم الملآن، نتحدث أننا أبناء أولئك العظماء ولنا الفخر أن ننتمي إليهم..

أخيراً فهذا الكتاب قارئي الكريم بين يديك يضم حكايات

مدخل...

المجتمع البدوي مجتمع قبلي. . الولاء فيه للقبيلة أكثر منه للأرض، فبالرغم من أن القبائل تتمسك بأراضيها ومراتع إبلها وقد تحصل حروب وصدامات تستمر لأكثر من سنة بسبب الأرض، ولكن قد تنزح قبيلة كاملة من أراضيها، وقد يكون نزوحها أبدياً من هذا المكان أو ذاك بسبب الجفاف أو قلة المراعي، وقليلاً ما كان يتخلف أحد عن النزوح مع القبيلة تمسكاً بالأرض. . لذا قلنا إن ولاء البدوي للقبيلة أولاً وأخيراً. .

والقبيلة بدورها يتزعمها شخص تكون الزعامة في أكثر الأحيان وراثية، يرثها الولد عن أبيه وتنقسم القبيلة إلى أفخاذ، لكل فخذ زعيم زعامته أيضاً وراثية. والفخذ ينقسم إلى عوائل لكل عائلة كبيرها حسب تقدم السن في أغلب الأحيان إن لم تكن تلك العوائل كبيرة فيكون منها زعيم مختار. .

وللقبائل عادات وتقاليد يتمسك بها أبناؤها ولا يحيدون عنها. . لأن تصرف أي فرد بالقبيلة يحسب على القبيلة كلها، وقد يكلفها سمعتها كقبيلة كاملة، فالمسئولية بين أبناء القبيلة تضامنية. لذا تجد

أن أكثر القبائـل تعمد إلى طـرد شخص من القبيلة تفاديـاً من العار. وقد تجد أن أحـد أبناء القبيلة من عـائلة متواضعـة يفعل فعـلاً يرفـع اسم القبيلة كلهـا وبالتـالي يرتقي بعـائلته إلى مستـوى شيـوخ القبيلة وقـد يـطغى اسمـه عـلى اسم زعيم القبيلة نفسهـا. وهنـاك مقـولـة مشهورة عند البـدو تقول: «عسى الـطيب منٍ عربنـا» فهم لا يحسدون الطيب إذا كان منهم لأن مـردود فعله ستمتّع بـه القبيلة ككل فتجـد أبنـاء القبيلة يفاخـرون بأفعـال بعضهم أمام القبـائل الأخـرى. كما أن الخـلافـات داخـل القبيلة تحلهـا القبيلة فيـما بينهـا أو حتى عـلى مستوى الفخذ. وفي حال احتدام الخـلاف يلجأون إلى عـرافة القبيلة ما يسمونه «الطاغوت» ـ وهو لا يعني الشيـطان أبداً ـ وهـذا العرافـة يحل نزاعات القبيلة مستمداً قوته من قوة شيخ القبيلة زعيمهـا وكأنمـا هو القاضي الـذي ينطق الحكم بـاسمه. كـما أن أحكام القضـاة غير قابلة للنقاش أو المماطلة بتنفيذها فهي قطعيـة كالأحكـام العرفيـة لا رجوع فيها. وكانوا في حال الخصومـة يجلس الخصمان أمـام العرافة ويورد كل منهما حجته وللشخص الحق بتوكيل شخص آخر بالنيابة عنـه يدافـع ويورد شهـوده في حال وجـود شهـود وفي حـال عـدمهم يلجأ العرافة عادة لليمـين، فشرعهم يقول: «ما مـدعي إلا ببينة ولا منكر إلا بيمين».

أما أساليب الحكم عنـدهم فهي أقرب للشـورى، حيث يشكل زعيم القبيلة مجلس شـورى بدون تسميـة من الثقات من كبـار السن في قبيلتـه يشاورهم في شئون القبيلة وشجـونها، ويستأنس بـآرائهم. وله أن يأخذ بها أو يرفضها، ، وهـذا راجع لشخصيـة أمير القبيلة في أغلب الأحيان..

هـذا استعراض سـريـع لتـركيبـة القبيلة، أردت أن يكـون هـو مدخلي في هذا الكتاب لنتـوصل إلى حقيقـة الدافـع وراء تصرف أي أمـير أو شخص عادي بـالقبيلة لأن معرفـة تركيـبة المجتمـع القبـلي تساعدنا على فهم طبيعـة تصرفـاتهم وتصديق الأشيـاء التي لا تصدق حينما يحدثك بها الـراوي. . وإلا فمن يصدق أن أبـاً يقتل ولده فلذة كبـده وبيده إكـراماً لجـاره وحفاظـاً على حقـوق الجيـرة. . ولكن إذا عـرفنا طبيعـة المجتمع البـدوي يسهـل علينـا فهم هـذا التصـرف أو ذاك. .

ولا يفـوتني أن أشير هنـا إلى أن للكلمة عنـد البـدوي مكـانتهـا فهي ملكـه قبل أن تـظهر ولكنّـه مملوك لها بعـد أن يظهـرها حيث لا رجعـة عنهـا إن قـال عفـوت أو بعت أو اشتـريت أو تمت في مجلس كبـير أو صغـير فقـد التـزم بكلمتـه وقـد تلزمـه القبيلة فيهـا. . فـلا نستنكــر أن يقـول أمـــير أو شخص في قبيلة لشخص آخـر من قبيلة أخرى: أنت في وجهي عن قبيلتي فيلتزم وتلتزم القبيلة كلها بما التزم بـــه ولن يجـد من يخــالفـه، ومن خــالفـه فهنــاك روادع تعيـده إلى صوابه. .

وبـذلك حـافظت القبـائل عـلى وجودهـا وعـلاقـاتهـا فيـما بينهـا وعـلاقاتهـا بداخلهـا دون الإخلال حتى بصغـار الأمـور أو كبـارهـا، واستـطاعت أن تعيش بـزمن لم تكن بـه حكـومـات ولا دسـاتـير ولا محاكم.

ومن هذه المجتمعات ولدت هذه الحكـايات التي جمعت بعضهـا بهـذا الكتـاب. . ومعـذرة إن حصـل خـطأ أو نسبت حكـايــة لغـير

أصحابها فقد جمعت أكثرها من ألسن الرواة الذين لمست صدقهم وتحريت أمانتهم في رواية الحكاية . .

المؤلف

* * *

أبو زيد الهلالي

هذه الحكاية ينسبها الرواة إلى «أبو زيد الهلالي سلامة» الفارس الشاعر المعروف. وهناك أيضاً من ينسبها إلى الخلاوي راشد الفلكي المشهور نظراً لتقارب الأسلوب الشعري بين الاثنين ولتقارب لهجة كل منهما للآخر. . ولكني أميل إلى أنها للهلالي لأسباب سوف أوردها بعد نهاية القصة. . يقول الراوي[1].

مر على بني هلال حين من الدهر أصابهم فيه الجوع، فقد شحت المراعي وقل الكلأ والمرعى، فمات أكثر حلالهم[2] وأصاب القبيلة كلها الجوع والعطش فاقترحوا إرسال شخص يستكشف لهم الأراضي ويبحث لهم عن الأرض الطيبة فترحل لها كل القبيلة. وبالفعل نال هذا الاقتراح إجماع كل القبيلة إلا أنهم حاروا فيمن يرسلون وكان بالقبيلة شخص مسنّ ـ وقيل إنها عجوز ـ هذا الشخص يؤخذ رأيه فاستشاروه فيمن يرسلون فاشترط عليهم شرطاً قبل أن

---

(١) القصة لم تثبت بالسيرة المطبوعة لبني هلال.

(٢) الحلال بلهجة البدو تعني المال والمال عندهم صامت وناطق ويعنون بالناطق الحيوانات من إبل وأغنام وخيل وغيرها أما الصامت فهو النقود.



يقترح من يرسلون وكان شرطه أن ترحل القبيلة كلها مسيرة يوم كامل بدون توقف وبعدها يعلمهم من هو الشخص المناسب. وبالفعل رحلت القبيلة مسيرة يوم كامل بدون توقف وبعد أن نزلوا بالمكان المحدد رجعوا له وسألوه عن الشخص فقال لهم هو أبو زيد الهلالي سلامة. . . فسألوه عن سبب اختياره له فقال أثناء رحيلنا لاحظت كل أبناء القبيلة فهم يراوحون بالركوب بين ورك وورك أثناء الركوب على المطية إلا أبا زيد فقد كان ركوبه على ورك واحد حتى نزل وهذا دليل صبره وجلادته. . واختاروه فعلاً وأرسلوه. وقد طلب أن يرافقه اثنان من أبناء القبيلة ورحل هو ورفاقه يبحثون عن المراعي للقبيلة كلها. . وطال بهم المسير دون جدوى، وتقطعت مطاياهم، وأصابهم الجوع فكانوا قرب قرية فنزلوا بسوقها ولم يجدوا من يطعمهم، كما لم يوفقوا إلى عمل يرتزقون منه. فاحتاروا بأمرهم. وكان أبو زيد واسع الحيلة داهية فاقترح على رفاقه أن يبيعوه في سوق المدينة على أنه عبد لهم، فقد كان أسمر اللون. وأمام إلحاحه وافقوه على أن يبيعوه ويشتروا بثمنه مطايا وزاداً لهم، ويواصلوا البحث. أما هو فقد قال لهم أنه سيستطيع تخليص نفسه. . على شرط أن يواصلوا هم البحث عن المراعي للقبيلة.

فاتفق الثلاثة ونزلوا سوق المدينة. . وباعوه. . وقبضوا الثمن كما تم الاتفاق واشتروا بثمنه المطايا والمتاع. .

وقد كان ينوي الهرب من سيده الذي اشتراه. . إلا أن هذا السيد كان نبيلاً طيباً، أولاه ثقته وجعله وكيلاً على أمواله فصعب

على أبي زيد أن يخون الأمانة ويهرب.. ومن هنا كانت معاناته واستمر في خدمته فترة.. وذات مرة كانوا جالسين بمجلس هذا السيد وأبو زيد بالقرب من الدلال يصنع القهوة.. فتمنى السيد من يجيد العزف على الربابة ليحلو لهم السمر فعرف أبو زيد أنها فرصته فنهض مسرعاً وأخذ الربابة وأنشد يقول:

يقول الهلالي والهلالي سلامه
شوف الفجوج[1] الخاليات تروع
ويقول الهلالي والهلالي سلامه
يبغى الطمع وهو واره طموع[2]
لا بد عقب الوقت من لايح الحيا[3]
من بارقن يوضي سناه لموع[4]
لابرقن إلا في حجا[5] مستهلة
ولا طرقي[6] إلا من وراه نجوع[7]
ولا ضحك إلا والبكا مردفن له[8]
ولا شبعة إلا مقتفيها جوع

---

(١) الفجوج: الصحارى
(٢) طموع: اطماع.
(٣) لايح الحيا: برق المطر.
(٤) لموع: نور البرق.
(٥) في حجا: في معية.
(٦) طرقي: مسافر
(٧) نجوع: جمع نجع
(٨) مردف له: مرافق له.

ولا يــدن إلا ويــد الله فــوقــهــا
ولا طــايــرات إلا وهــن وقــوع
ألا يـا حمامتـين فوق نبنـوب دوحة[٩]
وراكن فــرقن[١٠] والحــمــام ربــوع
حمــامتــين جعــل تبـلن بــنــادر
حــر قــطوع وجــاري لــه جــوع
وراكـن مــا تبـكـن عـليـا مـظنتي
لــو كــان مــا يجـري لـكن دمــوع
أبكي عليها لين حفيت[١١] نـواظري
ولاني بمــن تــدبــير الإلّــه جــزوع
حشـا ما لاق غـير الجـازي أم محمـد
عليهـا ثـويب الـطيلسـان[١٢] لمــوع
تنفق كمـا نفق الـوغيـد[١٣] مـع أمـه
وتحط الهــوى في قــلب كــل ولــوع

قـد يستغـرب القـارىء من تكـرار اسم الشـاعـر بـالبيت الأول والثاني ولكن ذلك لتأكيد أنه الهلالي وليس عبـداً وقد بـين للسيد أنـه جاء يبغي الطمع فصار الطمع بـرأسه. . عـرفه السيـد وأنّبه عـلى ما عمل وأطلق سراحه وأغدق عليه الهدايا وعاد أبو زيد لقبيلته. .

---

(٩) نبنوب دوحة: غصن دوحة
(١٠) فرق: متفرقات
(١١) حفيت: يبست.
(١٢) الطيلسان: نوع من الخام.
(١٣) الوغيد: الطفل الرضيع شبه صوتها بصوته وكناه بالنغيق.

أمـا عن سبب نسب القصـة والقصيـدة لـلهـلالي بـدلاً من الخلاوي حيث أن البعض يرويها على أن مطلعها:

يقول الخلاوي والخلاوي راشد

بدلاً من:

يقول الهلالي والهلالي سلامه..

لأن أبا زيـد الهـلالي كـان أسمـر اللون لـذلـك فهي أقـرب للصـواب منها إلى أنها للخـلاوي، بالإضـافة إلى أن سيـرة الخـلاوي وقصـائده لم تتـطرق لمثل هـذه التجربـة التي وقع بهـا الهلالي ودليلنـا عـلى أن الهلالي كـان أسمر اللون قصيـدة زوجته عليـا الهـلاليـة التي أشـار لها بقـوله الجـازي أم محمد.. حينـما أبعد أبـو زيد عنهـا قالت قصيدة منها أبيات تدلنا على أنه أسمر اللون تقول عليا:

يـا ركـب يللي مـن عقيـل تـقـللوا
عـلى ضمرن شروى الحنايـا نحايـل

عـلى هونكم أوصيكم وصـاة تضركم
يفـرح بهـا راع الثنـا والجمـايـل

يجـيكـم «أسـود» مـا يـزر ثـوبـه
هبيـل يلعب بـالـقلوب الهبـايـل

فقد أشارت إلى أبي زيد بالأسود نظراً للون بشرته..

أمـا الشاهـد الثاني فهـذان البيتان بـين أبي زيد وأحـد خصومـه حين لم يعرفه يقول له:

أثـرك العبـد الـذي جتنـا عـام الأول
وأثـاريـك مقـواد البـلا والحـرايب

فأجابه أبو زيد:

أنـا أبـا زيـد دبـوسهم فـوق روسهم
يـردون لي شـورهم ولـو كنت غـايب

* * *



نومان الحسيني

يقول الراوي: نومان الحسيني.. من بني حسين من الظفير.. عاش في زمن حكم ابن عريعر ولم يرد من اسمه سوى اسمه الأول وقبيلته فقط واعتقد أنه لولا ذكره لاسمه بالقصائد التي نظمها لصعبت حتى معرفته نظراً لطول الوقت فيما بيننا وبينه.. إلا أنه ذكر اسمه في إحدى قصائده حينما قال:

يا سابقي[1] ليلة قربنا للينه[2]
يا واهج بالصدر لو عنه تدرين
لو حط لك ذوب العسل ما تبينه
حيثك على حوض المنايا بتردين
حمرا[3] لنومان الحسيني ضنينه[4]
تسوى مطارد تالي النوم للعين

---

(١) السابق: هي الفرس التي تسبق الخيل.
(٢) لينة: موقع في شمال السعودية..
(٣) حمرا: لون الفرس.
(٤) ضنينه: حبيبة... عزيزة..

وأنـــا عـلـيـهـــا دون ربـعـي رهـيـنـــه
انـطح شبا[1] المقبـل وافـك المخلين[2]
لعيـــون من يـــزهى وشـــامـــه جبينـــه
الـلي هرج لي[3] ليلة الغـزو ماشـين[4]

فقد ذكر اسمه وفرسه وامتدحها بأنها أغلى من النوم للعين. المهم أن نومان الحسيني كان من أقرب المقربين من ابن عريعر لما كان يتمتع به من صفات حميدة وأخلاق عالية وحديث جميل بالإضافة إلى فروسيته وشجاعته التي اشتهر بها، فأحبه ابن عريعر وقربه وأغدق عليه الهدايا وخصه بالجلوس بجواره..

وكان هناك من ضمن حاشية ابن عريعر أناس يحسدون نومان ويستكثرون تقريب الأمير له، فكانوا يكثرون الكلام عنه ويصفونه بصفات ليست به لكي يبعده الأمير، ولكن دون جدوى، فقد كان الأمير يعرفه جيداً. وفي ذات مرة وقعت حرب، أبلى فيها نومان الحسيني بلاء حسناً أعجب الأمير وأخذ الأمير يمتدحه وهو غائب فقال الحساد أن الفعل الذي فعله نومان ليس شجاعة منه بل أن الفرس حشور ترمي به غصباً على الأعداء!!

سكت ابن عريعر حتى حضر نومان فقال له أنهم يقولون أن فعلك ليس شجاعة منك يا نومان إنما لأن فرسك «حشور» ترمي

---

(١) انطح شبا: أواجه وجه
(٢) افك المخلين: انتصر لمن خلوه جماعته.
(٣) هرج لي: حكى لي..
(٤) ليلة الغزو ماشين: ليلة رحيل الغزاة ويقصد حبيبته أو زوجته.

بك على الأعداء فالفعل لها وليس لك.. كان يقول هذا الكلام وهم جالسون.. ضحك نومان لمقولتهم واستسمح الأمير ثم أنشد يقول:

قالوا حشور وقلت سووا سواتي[١]
ارخولهن[٢] يا كاربين المصاريع[٣]
قلايعي[٤] عشر وهن مقفياتي
بالنافعي[٥] قطعت روس المداريع
واليا رضى مضنون عيني شفاتي[٦]
نازوع[٧] للشردان[٨] ضرابة الريع[٩]

فلما فرغ من شعره سكت حساده وأمر له ابن عريعر بهدية جزلة جزاء لشعره وفروسيته..

---

(١) سووا سواتي: افعلوا كفعلي.
(٢) ارخو لهن: اتركوا العنان
(٣) كاربين المصاريع: كناية على الجبن في كرب العنان للفرس.
(٤) القلايع: الكسب الذي يقلع أهله منه.
(٥) النافعي: السيف
(٦) مضنون عيني شفاتي: يقصد ابن عريعر
(٧) نازوع: كأن تقول قهراً أو تباً وخلاصة معنى البيت إذا رضي ابن عريعر فليذهب الآخرون للجحيم.
(٨) الشردان: الجبناء كناية عن الهرب.
(٩) ضرابة الريع: يهربون إلى الجبال ليتخفوا بها.



عبد الكريم الجربا

عبد الكريم الجربا من شيوخ شمر.. اشتهر هذا الشيخ بالكرم والجود حتى أطلق عليه «أبو خوذة» لأنه كلما طلب إليه أحد شيئاً قال له «خوذة» أي خُذْه فسمى أبو خوذه.. وحكايات هذا الشهم الكريم كثيرة وفيه قال أكثر الشعراء الذين عاصروه أجمل قصائدهم بمدح خصاله وخصوصاً بالجود والكرم.. وقليل من الشعراء الذين عاصروه من لم يقصده مادحاً وينال من كرمه..

فقد قال فيه فجحان الفراوي من عرض قصيدة:

آخر كلامي لبوخوذة موجه
شط الفرات إلى حدتك المضامي
مقابل الجربان عيد وحجه
حق علينا مثل فرض الصيامي
أما الكرم ما فيه صبحه ولجه
ولا أحدن يماريهم جنوب وشامي
ملفاي هو منصاي يوم أتوجه
عبد الكريم الليث غاية مرامي

يـا الله يـا والي المـقـاديـر نـجـه

حيثـه كـريم ومن مـوارث كـرامي

وهذا أيضاً الشاعر خضير الصعيليك يمتدح عبد الكـريم الجربـا في قصيدة نقتطف منها هذه الأبيات:

عيبك اليا من قـالوا الناس بك عيب

للسمن فـوق مفـطح الحيـل صبـاب

وذبح الغنم والكوم حـرش العراقيب

وعـطا المهار وبـذل مال بـلا حسـاب

وبـك شـارتن كب الفـراد المحـانيب

وبـذل الـطعـام وللتنـافيـل كسـاب

ونمـرا تجـره لـلعـدا والأجـانيـب

تفجـا بهـا غـرات ضـدك بـالاسبـاب

ومن عقب ذا بالعون ما بك عذاريب

أحلى من السكـر عـلى كبـد شـراب

هذا بعض ما قـال به الشعـراء وغيرهم كثيـرون. . دليل كـرمه وجوده. وحكايتنـا عن عبد الكـريم الجربـا فيها نـوع من الغرابـة لذا أوردت هذه الشواهد التاريخية. . يقول الراوي:

إن هنـاك حايف والحـايف هو اللص الـذي يحوف العـرب وهم نائمون أو على حين غرة وينهب ما ينهبـه من الإبل ويهـرب بليله هذا الحايف حاف بيت عبـد الكريم الجـربا وقـد كان الجـو بارداً لـدرجة أن الإبـل كانت بـاركة أمـام البيت متراص بعضهـا ببعض فـانـدس

الحايف بينها وأخذ يحاول تقويمها لكي يفك عقلها أي رباطها من الساق ويهرب بها[1] إلا أنها ولشدة البرد لم تقم وهذا هو يتجول بينها كلما دك واحدة رفضت النهوض حتى أدركه الهلاك هو بنفسه فتجمدت يداه وأعياه البرد الشديد. . فكر ولم يجد أمامه سوى بيت عبد الكريم فدخل وهم نائمون وجلس في مكان النار وأخذ يحفر الرماد بيديه لعله يجد الدفء ليديه على الأقل. وكان عبد الكريم نائماً بالجزء الثاني من البيت بينه وبين الرفه أي المجلس الرواق فسمع حركته ونهض وذهب له ولما نظر حالته لم يكلمه بل أخذ فروته وهي من جلد الغنم من ظهره ورماها على الحايف دون أن يكلمه وعاد لفراشه. .

الحايف لما شعر بالدفء من الفروة نام في مكانه لشدة تعبه وإعيائه من البرد. .

وفي الصباح بعد أن اجتمع المجلس جلس الحايف وعلى ظهره فروة الأمير. . فسأله الأمير عن سبب مجيئه بهذا البرد القارص فطلب الأمان أولاً. . فأعطاه الأمير. . فسرد الحكاية كاملة وأردف بهذه الأبيات:

البارحة ما هي من البارحاتي
من واهج[1] ينفخ[2] على البيت ويزير[3]

(١) الواهج: الشديد وهو وصف للنار استعمله الشاعر للبرد دليل شدته.
(٢) ينفخ: من النفخ شدة الرياح.
(٣) يزير: صوت الريح.

لـولا أبـو خـوذة كـان هـذا ممـاتي
في سهلتن[٤] مـا ينلقـابـه حـوافـير
عـطيتـه مـا هي مـن البـينـاتي
فـروة وكن عـازلن لي[٥] مغـاتـير[٦]

وما إن أتم حديثه وقصيدته حتى قال له عبد الكريم: ذود المغاتير أي قطيع الإبل البيض والتي حفتها بالأمس عطية لك.. وكانت أم عبد الكريم تسترق السمع فقالت له: لا يا عبد الكريم يكفيه إبقاؤك على حياته.. فأجابها لماذا إذن سميتني بعبد الكريم!!

* * *

---

(٤) سهله: السهل من الأرض.
(٥) عازلن لي: فرز لي..
(٦) مغاتير: البيض من الإبل.

شليويح العطاوي

ما من أحد تسأله إلا وهو يعرف هـذه الشطرة «يـا ناشـدن عني تـراني شليويـح» الكل يـرددها فهي شـائعة وحفـظها سهـل جداً. . ولكن وراء هـذه الشطرة قصـة جميلة جداً بـطلها شليـويح العـطاوي من قبيلة عتيبة. .

يقول الراوي :

شليـويح شهم وشجـاع نشأ وتـرعرع عـلى الشجاعـة، فكـانت مهنته وغايته فهو يغزو صيفاً وشتـاءً، بالحـر والبرد، بـالليل والنهـار، ولا يهجع أبداً فـما أن ينتهي من غزوة حتى يستعـد للثانيـة حتى شاع صيته وذاع اسمه وسمع به من لا يعـرفه وعـرفه من لا يـراه. . ومن طريف ما حصل لشليويـح أن إحدى بنـات الباديـة أحبته بـدون أن تـراه ولكن كعادتهن يعشقن الـطيب والشجاع عـلى مـا يسمعن عنه. المهم أن هذه الفتاة وضعت جـائزة لمن يـريها شليويح أو يكون سببـاً لرؤيتها له جملاً تعـطيه لـه. . وحصل أن رأتـه. . فقالت لـه: ذكرك جاني، وشوفـك ما هجـاني! بمعني ليتني لم أرك. . وكان وجهـه أسود من لفـح السمـوم كـما أن هيئتـه صـارت شعثـة من كثـرة التعب



والمغازي.. لما سمع شليويح كلامها أجابها بقوله:

يـا بنت يللي عن حـوالي تسالـين

وجهي غدت حامي السمايم[1] بزينه

أسهـر طـوال الليـل وأنتي تنامـين

وان طـاح عنك غـطاك تستلحقينه[2]

أنـا زهابي[3] بـالشهـر قيس مـدين[4]

مـا يشبعـك يـا بنت لـو تلهمينـه[5]

مـرة نـضحـي والمضحـا لـنـا زيـن

ومـرة نشيله بالجـواعـد[6] عجينـه[7]

وكان رده لها كـالمسمار بلوح الخشب فقـد أسكتها.. وكثيـراً ما كانت تواجه العطاوي مثل هذه المواقف فالفتيـات يسمعن بحكايـاته ويرسمن له صورة معينة بأذهانهن وعندما يرينه تتغير نظرتهن له..

المهم نـرجـع عـلى البيت المشهـور الـذي ذكـرنـاه وقصتـه أن شليـويح ورفـاقه كـانوا في إحـدى الغزوات أصـابهم العـطش وشـح عليهم الماء وكانوا بالصيف شـديد الحـرارة وأخذوا يبحثـون عن الماء

---

(١) السمايم: رياح السموم الحارة.

(٢) تستلحقينه: ترجعينه

(٣) الزهاب: زاد السفر

(٤) قيس مدين: مقدار مدين والمدّ أصغر من الصاع.

(٥) تلهمينه: تأكلينه دفعة واحدة.

(٦) الجواعد: جمع جاعد ما يوضع به الزاد على الذلول.

(٧) عجينه: قبل أن يتم صنعه بسبب الخوف.

دون جدوى حتى عثروا على غار صغير فيه صخرة صماء تجمع بها الماء بعد المطر فتسابقوا إليه الكل يريد أن يشرب فقد أدركهم الهلاك.. وخافوا أن يشربه أحدهم ويترك الآخرين.. فاتفقوا على أن يزنوا الماء بالوزنة وكل واحد منهم يشرب بالوزنة ولا يزيد عليها.. فكان شليويح لشدة عفته ومروءته وشهامته ورغم أن العطش قد بلغ منه ما بلغ إلا أنه كان يترك وزنته لرفاقه ويصبر على الظمأ حتى فرج الله لهم.. وبهذه يفاخر فيقول:

يا مل قلبن عانق الفطر الفيح[1]
كنه على كيرانهن[2] محزومي[3]
ما أخلف وعدهن كود ما تخلف الريح
وإلا يشد[4] الضلع[5] ضلع البقومي[6]
يا ناشدن عني تراني شليويح
نفسي على قطع الخرايم[7] عزومي[8]
إن قلّت الوزنه وربعي مشافيح[9]
أخلى الوزنه لربعي واشومي[10]

---

(١) الفطر الفيح: يقصد المطايا.
(٢) كيرانهن: ظهورهن
(٣) مخروم: مربوط
(٤) يشد: يرحل
(٥) الضلع: الجبل
(٦) البقوم: قبيلة البقوم
(٧) الخرايم: الأماكن الخالية.
(٨) عزوم: شجاع.
(٩) مشافيح: من الشفاحة، اللهفة.
(١٠) اشوم: اتعفف.

واليــاً رزقنــا الله بــذود المـصــاليــح

يصــير قسمي مـن خيــار الـقســومـي

واضوي[١١] الياصكت على النوابيح[١٢]

والــلي قعـد عنــد الـركــاب مخــدومي

وإن كــان لحقـوا مبعــدين المصــابيــح

معهـم من الحــاضر ســواة الـغيــومـي

اليــا ضــربت الســابق أم الـلواليــح

كلن رفــع يمنــاه لـلمنــع يــومـي[١٣]

---

(١١) أضوى: بالليل يسير.

(١٢) النوابيح: جمع نباح الكلاب.

(١٣) للمنع يومي: كان من عادة البدو أن يمنعوا الفارس شريطة أن يسلمهم ما معه ويمنعوه على عمره فقط يسلم من الذبح ويقول شليويح حينما يضرب ضربته الأولى ويعرفونه فالكل منهم يرفع يده طالباً المنع.



جديع بن قبلان

هذه الحكاية ينسبها كثيرون إلى نمر بن عـدوان أمير البلقـا ولكن من واقع دراسة لسيرة نمر بن عدوان يتبين لنـا أنه لم يمـر بحياتـه مثل هذا الموقف، فقصته ولو كانت قريبة بعض الشيء من القصة التي سنـوردها إلا أنها مختلفـة تمـامـاً في تفـاصيلهـا . . كـما أنها تنسب إلى امـرأة نظراً لبيت سـوف يرد بـالقصيدة في نهايـة الحكاية، ولكن تبقى تفاصيل القصة لا تتوافق مع شخصية المرأة . والرأي الذي أميل إليـه أن صـاحبها مجهـول إلا اسم جديـع بن قبلان الـذي ورد بالقصيـدة مع القصة . . ولنستعرض الحكاية . .

يقول الراوي . .

جـديع بن قبـلان من شيوخ قبيلة عنـزة كما يحكى عنـه . . المهم أن بطل قصتنا شاب قيل أن أبـاه من شيوخ البـادية . . هـذا الشاب أحب فتاة من عرب جـديع بن قبـلان فوقف أبـوها بينهـا وبينه بعـد أن تقدم لخطبتها لسبب أو لآخر . . ولم يستطع الشـاب الابتعاد عنهـا بعـد أن رحلت قبيلته إلى مـرابعها بعـد أن كانـوا يجتمعون بـالصيف حـول موارد الميـاه . . الشاب بعـد أن رحلت قبيلته تـركها وعـاد إلى

منازل قبيلة جديع بن قبلان والتجأ إلى عجوز بالقبيلة أعطاها مالاً مما معه، وأودع عندها فرسه وملابسه وأحضرت له ملابس رثة فتنكر بها وقصد مجلس جديع بن قبلان مادحاً. . فأراد جديع أن يعطيه. . فرفض فسأله عن مطلبه فقال أريد أن أعمل عندك مقابل أكلي وشربي ومبيتي. . فعرض عليه عدة مهن فرفضها وسأله عن طبيعة العمل التي تناسبه فقال أصنع القهوة. . . فضمه عاملاً للقهوة. . واستمر في خدمته. . فكان إذا مضى جزء من الليل ونام جديع ومن معه سحب نفسه بهدوء حتى يقترب من بيت محبوبته فيكمن ويعوي كعواء الذئب فتعرفه وتضع طرف عباءتها على النار وترفعها كإشارة له فيقترب ويجلس معها يتحدث حتى بزوغ الفجر فيعود لبيت جديع وينام. . وهكذا. . .

وفي أحد الأيام فطنت له زوجة جديع، فقالت لزوجها أن المقهوي هذا (أي عامل القهوة). . يقوم مغكم للعشاء ولكنه يمد يده ولا يرفعها لفمه. . وإذا نام النجع سحب نفسه باتجاه بيت فلان ويعود مع الفجر. . فتعجب جديع من صنيعه ومن فطنة زوجته أيضاً حيث أنهم لم يلاحظوا أكله ولحظته المرأة. . ولما كانت الليلة التالية انتبه له جديع فإذا كلامها صحيح. . ولما نام النجع أخذ جديع يراقبه. . فلما سرى الشاب سرى خلفه حتى إذا ما دخل بيت الفتاة جلس بالقرب منها وقد كان الظلام دامساً فلم يرياه. . وكان بينهما وبينه رواق بيت الشعر فجلسا باتجاه بعضهما ولم يلمس كل منهما الآخر. . وأحضرت له طعام العشاء كالعادة فأكل ولما فرغ أكلت هي. . ثم جلسا يتحدثان يشكو كل منهما للآخر

فرط الهيام. . فسرد عليها قصته وكيف تنكر وأصبح عاملاً بعد أن كان أميراً من أجلها. . وجديع يسمع. وكان الشاب يحمل معه عصا صغيرة فقال لها إلمسي طرف العصا وسوف ألمس الطرف الآخر. ولأن حبهما عذري رفضت الفتاة لمس طرف العصا. . فقال لها إذا استمرت الحال على ما هي عليه فإني هالك لا محالة. . فقالت إن هلكت فلا حاجة لي بالدنيا بعدك. . ولكن عليك بجديع بن قبلان فلن يحل مشكلتنا غيره هو الذي يدركني لك بأحد الأحمرين، وهي تقصد أحمر الذهب أو أحمر الدم. . فقال لها في هذا الصباح سوف أخبره. هذا كله وجديع يستمع لهما. . ولما اقترب الفجر توادعا وعاد كل منهما إلى مكانه. . وعاد جديع لمخدعه فإذا زوجته تنتظره لتستفسر عن الخبر. . فأخبرها بالحكاية وأخبرها أيضاً عن عزمه على تزويجهما لبعضهما بأحد الأحمرين كما قالت. . وبينما هما يتحدثان كان الشاب قد عاد لمكانه وأمسك الربابة وأنشد يقول:

يا راكب اللي تودع[1] البعد قربي
جدعتين[2] تدني بعيد السرابي
اليا ارتخت ذرعانها عقب كربي
حمص وحلب أدنى منازل أقرابي
يا جديع بن قبلان خان الدهر بي
خانت لياليها مع أيامها بي

(١) تودع: تجعل.
(٢) جدعين: وصف الذلول صغيرة الأذن.

طير الهوى يا ستر موضى[٣] شهربي

يم الثريا والكواكب رقابي

يهوم[٤] بي يا جديع شرقن وغربي

والله علم يم الشمال انتحابي

وبادق من سلك العنكبوت انحدر بي

ليما على نقرة حضوضاً[٥] رمى بي

شوك وعاقول وحلفا بدربي

تغطلست دنياي والنور غابي

مالي صديقن يفتهم كود قلبي

لا قلت له هات التماثيل جابي[٦]

ول يا غريرن بالمحبة كفربي

لا هو بذابحني ولا أشفى صوابي[٧]

ناح الحمام وجر الألحان طربي

وطوح غناه بعاليات النوابي

وكظمت بالأنياب مما استقربي

ليما غطس في شفتي راس نابي

---

(٣) ستر موضى: نخوة جديع أخو موضى.

(٤) يهوم: يهيم.

(٥) نقرة حضوضاً: معروفة عند البدو بأن من دخلها مات لا يظهر منها كنى الغرام بها.

(٦) هذا البيت فيه غلطة بالقافية الأولى حيث التزم الشاعر بالراء والباء والياء ما عدا هذا البيت.

(٧) هذا البيت هو الذي جعل الرواة ينسبون الحكاية لامرأة بان شاباً حملها ولم يتزوجها فهي تطلب جديع أن يجد لها حلاً..

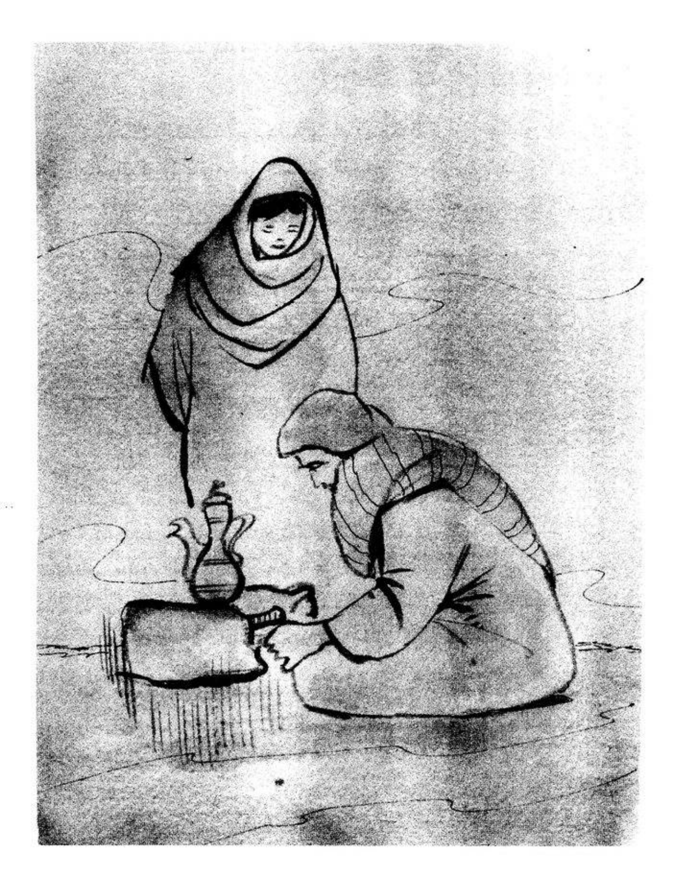
جـابـوا طـبيـب داربي وافتكـر بي
ولا ظـنـتي غـير الـشـهـادة لـقـابي

اختتم الشاب قصيدته ونام في مكانه. . وجديع وزوجته يستمعان له ولم ينم جديع بانتظار الصباح. .

ولما كان الصباح لم يوقظ جديع الشاب كالعادة لصنع القهوة فتركه يشبع من النوم، وعمل هو القهوة بنفسه، وأرسل في طلب والد الفتاة. ولما حضر واجتمع المجلس عند جديع أمر أحد الموجودين أن يوقظ الشاب. . ولكن الشاب لم يتحرك فقام له جديع وقلبه فإذا هو جثة هامدة. . فقد أسلم الروح بعد نهاية قصيدته تأكيداً لآخر بيت فيها. . عض جديع على ناجذه وتذكر كلامهما ليلة البارحة. . فأرسل أحد خدامه إلى بيت الفتاة يطلب منهم الفأس وكان البدو نادراً ما يستعملونه فقال له إذا سألوك لماذا أخبرهم أن مقهوينا توفي وهو يقصد إخبار الفتاة. . . وما هي إلا لحظات حتى جاءت الفتاة تركض وقد شقت جيبها ناسيةً الحياء. . فأمر جديع الناس أن يبتعدوا عن جثة الشاب ليفسحوا لها المجال. . ولما رأته وقعت فوقه جثة هامدة هي أيضاً. . فأمر جديع بدفنهما بقبر واحد لأنه لم يستطع جمعهما وهما حيّان فجمعهما بالقبر. . .

يقول الرواة أن هناك موقعاً في نجد اسمه (قبر الخدنا) والخدين هو الحبيب. . إلا أنني لست متأكداً من هذه الرواية فلم أشاهده. .

* * *



راكان بن حثلين

الشيخ راكان بن فلاح آل حثلين من أشهر فرسان البادية، وأفعاله لم تكن لقبيلته وحدها بل فاخر بها جميع أبناء البادية ولا زلنا نحن نفاخر بها حتى الآن.. خصوصاً حينما أسره الأتراك وخلص نفسه بفروسيته وصفق له الأتراك مرغمين. فهذا البدوي نحيل القامة هزيل الجسم بارز أشهر الفرسان وصرعه.. والقصة مشهورة.. ولا بد في حياة فارس كالشيخ راكان من حوادث طريفة، ومنها هذه الحكاية التي اخترناها..

يقول الراوي:

كان الشيخ راكان في أواخر أيامه وقد بلغ من الكبر عتيا فحصل ذات مرة أن خرج هو وبمعيته شاب في عنفوان شبابه من أبناء قبيلته العجمان خرج الاثنان لأمر ما.. وأدركهما التعب فأرادا أن يستريحا، وإذا هما يريان على بعد بيتاً، فلما اقتربا من البيت إذا هو خالٍ من الرجال وليس به سوى امرأة تعاند الشيخ راكان ورفيق سفره من باب الطرفة. فقال الشاب للشيخ: أراهنك على أن الفتاة سوف تجلسني وتأمرك أنت بصنع القهوة ظنا منها أنني أنا

الشيخ . . فأجابه راكان: إذاكانت تستطيع التمييز فستأمرك أنت وتجلسني. فاتفقا على ألاّ يَخبراها بشيء ويتركاها تتصرف بحرية تامة . .

وكعادة بنات البدو لما نزل الضيفان استقبلتهما ببشاشة وفرشت لهما الفراش للجلوس، فالبدوية تقوم بواجب الضيافة في غياب زوجها أو والدها حفاظاً على سمعته . .

المهم أنها أخذت برهة تدقق بوجهي الضيفين وتفكر . . ثم أحضرت الفأس ورمته على الشيخ راكان وقالت له: قم واحطب وشب النار «لمعزبك» [1] أي عمك أو سيدك وصلح له القهوة . .

التفت راكان للشاب وأشار له بالسكوت كما اتفقا وأخذ الفأس وجمع الحطب وأوقد النار وصنع القهوة . . هذا كله والشاب جالس لا يحرك ساكناً، امتثالاً لأمر الشيخ راكان ولما انتهى من صنع القهوة حمل الدلة وصب للشاب حتى انتهى ثم جلس وشرب والمرأة تنظر إليهما . . فلما فرغ الشيخ راكان من احتساء قهوته التفت ناحيتها وأنشد يقول مخاطباً الفتاة :

يا زين يللي في ذراعك نقاريش
الحكم حكم الله وحكمك على الراس
إن شيتني[1] حشاش سيد الحواشيش[2]
وإن شيتني حطاب قرب لي الفاس

---

(١) المعزب أوالعم عند البدو هو السيد .

(١) شيتني : اردتني ، يفتخر بقدراته الواسعة .

(٢) سيد الحواش : خير من يحش العشب . .

وإن شيتني خيـــال أروي المعــاطيش[٣]

واثـني وراهم يــوم الأرياق يـبـــاس[٤]

الفـرخ لا يغـويـك في صفـة الـريش[٥]

طـير الحبارى يـا ريش العين قـرناس[٦]

ولما فرغ راكان من قصيدته قالت لـه الفتاة: ادخـل على الله أي أحلفك بالله ما أنت الشيخ راكان!!

قـال بلى.. فخجلت وحـاولت تصليـح خطئها معتـذرة أنها لم تعرفه فضحك راكان وهدأ من روعها وأخبرها برهانها..

---

(٣) أروي المعاطيش: يقصد السيوف حين عطشها لدم الأعداء كناية عن فروسيته.

(٤) أثني وراهم: أقف خلف ربعي وقـت المعــركــة حيـنـما يجف الـريق في حـلوق المحاربين.

(٥) كنى بالشطر كله على فرخ الصقر حينما يكون كامـلاً ريشه ولكنـه لا يهد ولا يصيـد ويعني بذلك الشاب الذي أعجبها شبابه فحسبته الأمير.

(٦) وكنى عن نفسه بالقـرناس وهـو الصقر الـذي اكتمل حـذفه لـريشه الأول وظهـور ريشه الجديد ويقصد نفسه.



مهمّل المهادي[1]

هـذه الحكايـة بفصـولها وتفـاصيلها من أروع الحكـايـات التي حصلت بتاريخ البـادية كلهـا، ولا شك أن الغـالبية قـد سمعت عن المهـادي وقصتـه ولكن هــذه القصـة أضــاف عليهـا الــرواة بعض الإضـافات التي أسـاسـاً لم تمس الجـوهـر وإنمـا في بعض التفـاصيـل وبرأيي أن هذه الإضافات جاءت نتيجة تعـاطف الرواة مـع شخصية المهـادي نفسه فكـان كل من يـرويها لي أشعـر بتفاعله مـع شخصيـة المهـادي وتـأثـره من تسلسـل الأحـداث فتجـده لا شعـوريـاً يحـاول إنصـاف المهادي أو تبـرير تصـرفـه من بـاب التعـاطف معـه وكـأنـه يعرفه.. لأن القصة أساساً بالغة التأثير على السـامع والـراوي بنفس الـوقت.. لذلـك فقد جمعت عـدة روايات وقـربتها وحـاولت حذف بعض الإضافات حسب اجتهادي وإليكم القصة..

يقول الراوي:

مهمل المهادي من عبيدة من قحطان، وكـان معروفـاً في قبيلته،

---

(١) بعض الرواة يقول أن اسمه محمد والبعض الآخر يقول مهمل.

وذا رياسة فيها . . شاعر وفارس نشأ ميسور الحال رفيع الجاه . . خرج المهادي للغزو بالصحراء ومعه مجموعة من بني قومه. وفي هذه الرحلة تصادف أن مر على قبيلة أخرى من نفس قبيلة قحطان وكما هو معروف فإن قبيلة قحطان قبيلة كبيرة فروعها تشكل بحد ذاتها قبائل مختلفة . . المهم أن المهادي صادف في مروره في مرابع القبيلة التي نزل بها مرور فتاة بالغة الجمال لدرجة أن المهادي تأثر بها من أول نظرة . . ولم يستطع أن يفارق مضارب قبيلتها . .

أخفى المهادي ما أصابه عن رفاقه، واختلق عذرا تخلص به من مرافقتهم، وأقنعهم بمواصلة المسير بدونه وبقائه هو في مضارب تلك القبيلة وحيداً . . وبهذا العذر تخلص من رفاقه حيث رحلوا وتركوه . . وبقي هو وحيداً . . فبحث عن أكبر بيت في بيوت القبيلة لأنه عادة ما تكون البيوت الكبار لرؤساء العشائر أو فرسانها أو شخصياتها المعروفة . . ونزل ضيفاً على صاحب هذا البيت فأكرمه الإكرام الذي يليق بهذا الضيف وبقي عنده فترة يفكر بالطريقة التي توصله لمعرفة تلك الفتاة التي أسرته من النظرة الأولى وملكت فؤاده . . وهذا المهادي يصارع الأفكار وهو ضيف عند هذا الرجل الكريم . . فلا يستطيع التكلم مع أحد . . ولا هو بصابر حتى يعرفها . . فقد رمته بسهم وابتعدت . . فكان لا بد وأن يستعين بأحد من نفس هذه القبيلة، فأهل مكة أدرى بشعابها هكذا يقول المثل . . ولكن كيف يهتدي إلى الشخص الثقة الذي إن أفضى إليه بسره حفظه وأعانه . . خصوصاً وهو غريب عن هذه القبيلة ولا يعرف رجالها . . والسجايا الحميدة بالرجال لا يستطيع أن يكتشفها الإنسان بالنظر، فكما يقولون . . الرجال مخابر وليست

مناظر. . فكر المهادي طويلاً واهتدى إلى رأي. . هو بالأصح حيلة جهنمية يستكشف بها الرجال حتى يهتدي إلى أوثقهم فيحكي له. . قرر أن يجرب صبرهم فالصبور بلا شك يملك صفات أخرى غير الصبر. .

فادعى أنه مصاب بمرض التشنج أو الصرع حيث تأتيه الصرعة ويرتمي على من يجلس قربه. . ولأنهم لا يعرفونه صدقوا روايته وهذا المهادي يتنقل من واحد إلى واحد ويرتمي عليه وكأنه مصروع، ويتكىء عليه بكوعيه حتى يؤلمه ليختبر صبره. . فكان بعضهم يبتعد عنه من يجلس بجواره والبعض الآخر يرميه على الوسادة والبعض الآخر يصبر قليلاً ثم يغير مجلسه. وهكذا حتى جلس ذات مرة بجوار شاب توسم به الخير وتحرى معالم الرجولة بوجهه فاصطنع الصرع وارتمى عليه واتكأ عليه بكوعيه بشدة. . وهذا الشاب صابر ساكن لا تصدر منه شكاة. . وكلما حاول البعض إزاحته عنه نهرهم قائلاً. . هذا ضيف والضيف مدلل فاتركوه. .

أما المهادي فقد عرف أنه وجد ضالته. . وحينما أفاق المهادي من صرعه المصطنع. . وهدأ القوم. . وقام الشاب متجهاً إلى بيته تبعه المهادي واستوقفه بمكان خال من الناس واستحلفه بالله ثم أفضى إليه بسره. . وشكا له ما جرى بالتفصيل وأعلمه من هو ووصف له الفتاة الوصف الدقيق الذي جعل الشاب يعرفها. . ولما انتهى من حديثه قال له الشاب أتعرف تلك الفتاة لو رأيتها مرة ثانية؟. فأكد له المهادي معرفته لها وحفظه لتقاسيم وجهها. .

فقال له الشاب: هانت! أي سهلت - واصطحبه معه إلى بيته ووقفا بوسط البيت.. وصاح الشاب: فلانة احضري بالحال!! فدخلت وإذا هي ضالة المهادي.. فوقع من طوله لشدة تأثره. أما الفتاة فقد عادت لخدرها مسرعة بعد أن رأت أن هناك رجلاً غريباً كما هي عادة بنات البدو. أما صاحب المهادي فهدأ من روعه وأسقاه ماء.. وسأله: أهي ضالتك.. قال المهادي: نعم.. قال الشاب هي أختي وقد زوجتك إياها.. فكاد المهادي أن يجن لوقع الخبر عليه لأنه لم يتوقع أن يحصل عليها بتلك السهولة.. ترك الشاب المهادي في بيته وذهب لوالده وأخبره بالقصة كاملة وكان والده من الرجال المعروفين بحكمتهم وإبائهم ورجولتهم.. فلما فرغ الابن من سرد الحكاية.. قال له الوالد أسرع واعقد له عليها لا يفتك به الهيام.. وبالفعل عقد له عليها.. وبالليلة التالية كان زواجهما.. والمهادي يكاد لا يصدق أن تتم العملية بهذه السهولة واليسر والسرعة وقد كانت شبه مستحيلة قبل أيام.

المهم أنه دخل عليها وخلا البيت إلا من العروسين وأخذ يتقرب منها ويخبرها من هو ويعلمها بمكانته بقبيلته وأنه زعيمها ويعرفها بنفسه ويحاول أن يهدىء من روعها ليستميل قلبها.. وأفضى لها بسره أنه رآها وأسرته.. كل هذا والعروس تسمع ولا تجيب.. والمهادي يتكلم ويتقرب وتزداد نفوراً منه.. وكان المهادي فطناً شديد الذكاء.. فقد لمس أن زوجته تضع حاجزاً بينها وبينه.. وتأكد من صدق حدسه حينما لمح دموعها تنهمر من عينيها وهي لا تتكلم.. عرف أن وراءها قصة.. فتقرب منها واستحلفها بالله ألاَّ تخفي عنه شيئاً.. ووعدها ألاَّ يمسها بسوء.. وأقنعها بأن

تحكي لـه . . فقـالت: أنـا فتـاة يتيمـة كفلني عمي وربيت مـع ابن عمي وابن عمي معي . . كنا صغيرين نلهو مع بعضنا وكبرنا وكبرت محبتنا معنا وقبل حضورك كنت مخطوبة لابن عمي الـذي لا أستطيـع البعد عنه لحظة ولا يستطيـع البعد عني بـرهة . . ولـما حضرت انتهى كـل شيء وزوجوني إيـاك . . طار صـواب المهادي . . فقـال لها وأين ابن عمـك قالت لـه هو مفـرج الذي عقـد لي عليـك وأفهمـك أنني أخته وآثرك على نفسه لأنك التجأت له ولأنك ضيفنا . .

كـاد المهادي أن يفقـد عقله لحسن صنيـع ذلـك الشـاب الـذي اتكـأ عليه وسكت لفتـرة طويلة وهـو يستعرض مـا حصل ولا يكـاد يصـدق أن تبلغ المـروءة في شـاب كـما بلغت بمفـرج . . وبعـد فتـرة صمت قـال لها: أنت من هـذه اللحـظة حـرام عـلي كـما تحـرم أمي عليَّ . . ولكن أرجوك أن تخفي الأمـر حتى أخبرك فيـما بعد فصنيعهم لي لا ينسى لذا لا أريدك الآن أن تقولي شيئاً . .

هـدأ روع الفتاة ونـامت ونام هـو في مكان آخـر . . وبقي زوجاً لهـا أمام النـاس عدة أيـام وبعدهـا استسمح أصهـاره بالـرحيـل إلى قبيلته لتدبير شؤونه ومن ثم يعود ليأخذ زوجته . . ورحـل ولما وصـل قبيلته أرسل رسولاً من قبيلته يخبـر مفرج بـطلاق زوجة المهـادي وأنه لما عرف قصتهما آثر طلاقها وأن مروءته قد غسلت تأثـير الغرام عليـه وأنه سيبقى أسيراً للمعروف طالما هو حي . .

وتم زواج مفـرج من ابنة عمـه وعاشـا بـرغـد فَتـرة طـويلة من الزمن . . ولكن الزمان لا يترك أحداً . . فقد شح الدهـر على مفـرج وأصـاب أراضي قبيلتـه القحط والجفـاف فهلك الحـلال وتبـدلت

الأحوال. . ومسه الجوع. . فلم يجد سبيلاً من اللجوء إلى صديقه المهادي خصوصاً وأنه ميسور الحال. . وبالفعل ذهب هو وزوجته ابنة عمه وأولاده الثلاثة ونزل عليه ليلاً. . وكان المهادي يتمنى هذه اللحظة وينتظرها بفارغ الصبر لكي يرد الجميل. .

فلما نظر حالته عرف فقره. . وكان للمهادي زوجتان فأمر صاحبة البيت الكبير من زوجاته أن تخرج من البيت وتترك كل ما فيه للمهادي وزوجته وأولاده ولا تأخذ من البيت شيئاً أبداً. . وبالفعل خرجت من البيت فقط بما عليها من ملابس وتركت كل شيء لزوجة مفرج وقبل خروجها أفهمت زوجة مفرج أن لها ولداً يلعب مع رفاقه وإذا غلبه النوم جاء قرب والدته ونام ورجتها أن تنتظره حتى يحضر وتخبره بخروج أمه من البيت ليذهب لها. .

وبالفعل انتظرت زوجة مفرج ولد المهادي ولكن انتظارها طال بعض الشيء خصوصاً وأنها متعبة مجهدة من طول السفر وعناء الجوع وقد وجدت المكان المريح فغفت بالنوم بعد أن طال انتظارها وحضر ولد المهادي كالعادة ورفع غطاء أمه ونام معها وتلحف معها بلحافها كعادته ظناً منه أنها والدته. . في هذه الأثناء كان مفرج يتسامر مع صديقه القديم المهادي ولما غلب عليه النعاس استأذنه لينام فسمح له. . وسار معه حتى دله على بيته الذي أصبح ملكاً له. .

دخل مفرج بيته وإذا بالفراش شخصان رفع الغطاء فإذا زوجته نائمة وبجانبها شاب يافع فلم يتمالك نفسه فضرب الفتى الضربة التي شهق بعدها وفارق الحياة.

نهضت الزوجة مذعورة فإذا الشاب مصروع . . فقالت لزوجها قتلت ولد المهادي . . فقال وما الذي جاء به إليك . فأعلمته بالقصة فرجع إلى رشده . . وأسقط في يديه فماذا يفعل؟!

كان لا بد أن يخبر المهادي . . فهرول مسرعا إلى حيث المهادي جالس وأخبره بالحكاية . . وهو يكاد يموت حزناً . . هذا والمهادي هادىء ممسك لأعصابه . . ولما انتهى من كلامه قال له المهادي هو قضاء الله وقدره ولا مفر من ذلك كل ما أرجوه منك أن لا تخبر أحداً وتوصي زوجتك بأن تكتم الخبر حتى عن أم الولد . . وحمل المهادي ولده ورماه في مكان اللعب حيث كان يلعب مع أقرانه . . وفي الصباح انتشر خبر مصرع ابن الأمير فقد كان المهادي أمير قومه وكل لا يجرؤ أن يخبر الأمير خوفاً من اتهامه له بالقتل . . ولما وصل الخبر للأمير اصطنع الغضب وشاط وتوعد وطالب القبيلة كلها بالبحث عن القاتل دون جدوى وبالمساء جمع القوم حوله وقال عليكم أن تدفعوا كلكم دية ولدي . . من كل واحد بعير . . وبالفعل جمع الدية حوالي سبعمائة بعير أدخلها المهادي ضمن حلاله وأعطى أم الولد منها مئة بعير وقال لمفرج البقية هي لك ولكن اتركها مع حلالي حتى ينسى الناس القصة . . وبالفعل بعد مرور مدة عزل الإبل ووهبها لمفرج فنقلته النقلة الكبيرة في حياته من فقير لا يملك قوت يومه إلى أكبر أغنياء القبيلة . . ومضت السنون والصديقان مع بعضهما لا يفترقان فإذا دخلت مجلس المهادي حسبت أن مفرج هو صاحب المجلس والمهادي ضيفه والعكس صحيح . . مرت السنون على هذه الحال الكل منهم يؤثر صديقه على نفسه . . ولكن لا بد أن يحصل ما يغير صفاء الحال

وكما يقال دوام الحال من المحال . .

كان للمهادي بنت بارعة الجمال أولع بها ولد مفرج وقد كان هناك سبب يحول بينهما فأخذ يحاولها ويتعرض لها بالغدو والرواح ويحرضها على مواقعته الحرام . . والفتاة نقية، فأخبرت والدتها التي أخبرت بدورها المهادي فأمرها المهادي بالسكوت إكراماً لوالد الشاب مفرج وأمرها أن تجتنبه قدر استطاعتها فنفذت وصية والدها وها هو يطاردها أربع سنوات متتالية وفي السنة الرابعة عيل صبرها فقالت لوالدها إن لم تجد لي حلاً، فقد يفترسني في أحد الأيام . .

هذا والمهادي لا يستطيع أن يعمل شيئاً إكراماً لصديقه مفرج . . والشاب يزداد رعونة . .

فكان لا بدّ من فراق جاره وصديقه لكي يمنع جريمة ابنه ولكن كيف يصارحه . . وهو الداهية كما عرفنا بالسابق . . فاقترح على مفرج أن يلعبا لعبة بالحصى ما يسمى الآن «الدامة» وكان كلما نقل حجراً قال لمفرج ارحلوا وإلا رحلنا . . حتى انتبه مفرج لمقولة جاره . . فأسرّها . . ولما عاد لزوجته أخبرها بكلمة المهادي: ارحلوا وإلا رحلنا . . فقالت له أن هناك أمراً خطيراً حصل ولا بد لنا من الرحيل . . فاذهب وأستأذنه . . فذهب واستأذنه ولم يمانع المهادي مع العلم أنه كان في كل سنة يطلب الرحيل ويرفض المهادي . . إلا هذه المرة قبل بسرعة وكان يريدها . . رحل مفرج وهو يبحث عن السر الخطير الذي من أجله قال المهادي كلمته . .

وبعد أن ابتعد عن منازل قبيلة المهادي نزل ليستريح ويفكر بالسبب . . ولكنه لم يهتد لشيء . . لذا سرق نفسه ليلاً وامتطى

فـرسه وقصـد المهادي ولما دخل مضـارب القبيلة ربط فـرسـه وتلثم واندس في مكان قـريب من مجلس المهادي لعله يعـرف سبباً لـرغبته بـرحيله . . وجلس يرقب المهـادي . . فلما انفض المجلس من حـولـه وجلس وحيـداً . . هذا كله ومفـرج يراه وهـو لا يرى مفـرج ومفـرج ينتظره حتى يدخل عند زوجتـه ليسترق السمـع لعله يسمع شيئـاً من حـديثه مـع زوجته . . إلا أن المهـادي لما جلس في مجلسـه وحيـداً . . تناول ربابته وأخذ يغني ويقول :

يقــول المهــادي والمهــادي مهـمــل
بي علتن كــل العــرب مــا درى بهـا
أنــا وجـعي مـن عـلتـن بــاطـنيــة
بأقصى الضمـاير مـا درى وين بـابهـا
تقـد[1] الحشـا قـد ولا تنثر الـدمـا
ولا يـدري الهلبـاج عـما لجـا بهـا
إن أبـديتها بـانت لـرماقـة[3] العـدا
وإن أخفيتهـا ضاق الحشـا بالتهـابهـا
أربــع سنــين وجــارنــا مجــرم بنـا
وهـو مثـل واطي جمــرتن مـا درى بها
وطـاهـا بفـرش الـرجـل ليـما تمكنت
بقى حـرهـا مـا يبـرد المـاء التهـابهــا

---

(١) تقد : تقطع .
(٢) الهلباج : الصاحب .
(٣) رماقة العدا : الشامتون من العدا .

ترى جارنا الماضي على كل طلبه

لو كان ما يلقى شهودن غدابها[٤]

ويا ماحضينا جارنا من كرامه

بليلن ولو نبغي الغبا ما ذرى بها[٥]

ويا ما عطينا جارنا من سبية

لا قادها قوادهم ما انثنى بها[٦]

ونرفى خمال الجار لو داس زلة

كما ترفي البيض العذارى ثيابها[٧]

ترى عندنا شاة القصير بها أربع

يحلف بها عقارها ما درى بها[٨]

تنال بالمهادي ثمانن كوامل

تراقى وتشدي بالعلا من أصعابها

لا قال منا خيّرن فرد كلمة

بحضرات خوفن للرزايا وفى بها[٩]

الأجواد وإن قاربتها ما تملها

والأنذال وإن قاربتها عفت ما بها

---

(٤) يقصد أن جاره هو الغالب في كل حجة وبدون شهود.

(٥) يقصد أنه خص جاره بوليمة ولو كان يريد أن لا يخبره فهي بالليل ولا يعلمها ولكنه لا ينساه.

(٦) السبية: ما يسبى من حلال الأعداء مفرد سبايا حيث يعطيها جاره.

(٧) يقصد أنه يغطي خطيئة جاره كما ترقع النسوة ثيابهن.

(٨) دليل حق الجار عندهم وحرصهم على حقوقه لدرجة الحلف عليها.

(٩) يقصد أنهم يلتزمون بكلامهم ولو كان على خوف.

الأجـواد وإن قـالـوا حـديثن وفوابه

والأنذال منـطوق الحكـايا كــذابهـا

الأجواد مثل العد[10]من ورده ارتوى

والأنذال لا تسقى ولا ينـسقـا بهـا

الأجـواد تجعـل نيلهـا دون عـرضهـا

والأنذال تجعـل نيلهـا في رقـابهـا[11]

الأجـواد مثل الـزمل للشيـل يـرتكي

والأنذال مثل الحشـو كثير الـرغـابهـا

الأجـواد لـو ضعفـو وراهم عـراشـه

والأنذال لو سمنـو معايـا صلابها[12]

الأجـواد يـطرد همهم طـول عـزمهم

والأنذال يصبح همهـم في رقـابهـا

الأجــواد تشبــه قــارتن مــطلحبــة

لا دارهـا البـردان يلقى الـذرابهـا[13]

الأجـواد تشبـه للجبــال الـذي بهـا

شــرب وظـل والــذي يـنهقـا بهـا

الأجـواد صنـدوقــين مسـك وعنبــر

لافـتـحـن أبــوابهـا جـاك مـابهـا

---

(١٠) العد: مكان الماء.

(١١) يقصد أن الجواد تعطي كل ما تكسبه حفاظاً على السمعة عكس الأنذال.

(١٢) يقصد أن الأجـواد حتى في حـال ضعفهم تجد وراهم شيئاً تـأكله عـلى عكس الأنذال الذين لو كانوا أقوياء فلا رزق وراءهم.

(١٣) القارة عند البدو هي المرتفع من الهضاب.

الأجـواد مثـل البـدر في ليلة الدجى

والأنذال ظلما تـايهن من ســرابهـا

الأجـواد مثل الـدر في شـامـخ الـذرا

والأنذال مثل الشـري مـرن شـرابهـا

الأجــواد وإن حـايلتهم مــا تحــايلو

وأنذال أدني حيلتـن ثم جـابهـا[١٤]

الأنذال لـو غسلوا يـديهم تنجست

نجـاسـة قلوبن مـا يسر الـدوابهـا

يـا رب لا تجعـل لــلأجــواد نكبــة

من حيث لا ضعف الضعيف التجابها

أنا أحب نفسي يرخص الـزاد عندهـا

يقـطعـك يـا نفس جـزاهـا هبـابهـا

يـا عـل نفسن مـا لـلأجـواد عنـدهـا

وقــارن عسى مــا تهتني في شبـابهـا

عليــك بعــين السيــح لاجـت وارد

خـل الخبـاري فـإن مـاهـا هبـابهـا

تــرى ظبي رمــان بــرمــان راغـب

والأرزاق بالدنيـا وهـو مـا درى بها[١٥]

سقـاهـا الحيـا مـا بـين تيـما وغـربت

يمــين عميق الجـزع ملفـا هضـابهـا

---

(١٤) يغني على جرحه المهادي واعتقد أنه يرمز إلى ابنته بأن ولد مفرج أربع سنوات يحيلها ولم يقدرها ولو كانت نذلة لهانت على أبسط سبب.

(١٥) ظبي رمان رضي برمان مثل ولو لم يكن برمان عشب يرعاه.

سقاها الـولي من مـزنتن عقـربية

تنشر أدقـاق وبلهـا مـن سحـابهـا

اليا أمطرت هذي ورعد ذي ساق ذي

سنـاذي وذي بالـوبـل غـرق ربـابها

نسف الغثا سيبان ما ها اليا أصبحت

يحيـل الحول والما نـاقعن في شعـابها

دار لنـا مـا هي بـدارن لـغيـرنـا

والأجنـاب لـو حنـا بعيـدن تهـابها

يـذلـون من دهمـا دهـوم نجـرهـا

نـفجـي بهـا غـزات من لا درى بها

تـرى الدار كـالعذرا إلى عـاد مـا بها

حرن غيـورن كـل من جـاز نـابها

فيا ما وطت سمحات الأيدي من الوطا

نصـد عنها مـا غـدا من هضـابها

تهـاميـة الـرجلين نجـديـة الحشـا

عـذابي من الخـلان وأنـا عـذابهـا

أريتـك إلى مـا مسنـا الجـوع والضـما

واحتـرمن الجـوزا علينـا التهـابهـا

وحمى علينا الـرمـل واستـاقـد الحصـا

وحمى عـلى روس المبـادي هضـابهـا

وطلن عـذرن من ورانـا وشـارفـن

عمـاليق مـطوي العبـايـا ثيـابهـا

سقـاني بكـأس الحـب درمنهنـه

عنـدل من البيض العذارى أطنـابها

وإلى سـرت منا يـا سعـود بن راشـد

على حرتن نسـل الجديعي ضـرابها[1]

سـرهـا وتـلفي مـن سبيـع قبيلة

كـرام اللحا في طـوع الأيـدي لبـابها

فـلا بـد مـا نـرمي سبيـع بغـارة

عـلى جرد الأيـدي درعـوهـا زهـابها

وأنـا زبـون الجـاذيـات مـهمـل

إلى عـزبـوا ذود المصـاليح جـابها

عـليهـا مـن أولاد المهـادي غـلمـه

اليـا طعنـوا مـا ثمنـوا في أعقـابها

محـا الله عجوزن من سبيـع بن عامـر

مـا عـلمت قـرانها في شبـابهـا[2]

لهـا ولـدن مـا حـاش يـومن غنيمـة

سـوى كلمتن عجفة تمـزا وجـابهـا[3]

يعنـونها عسمـان الأيـدي عن العضـا

محـا الله دينـا مـا خـذينـا القضـا بهـا

---

(١) سعود اعتقد أنه أحد جماعة المهادي ينتدبه للرحيل إلى مفرج كما أوضح بالبيت الذي يليه.

(٢) هنا بيت القصيد.. فهو يدعي على زوجة مفرج حيث أنها لم تربِّ أبناءها التربية الصحيحة حينها كانت شابة وقادرة لذا بدر من ابنها ما بدر ونلاحظ أنه لم يدع على الوالد لمحبته له.

(٣) تأكيد للبيت الذي قبله.

عيـون العـدا كم نـوخن من قبيلة

لا قـام بـذاخ إلا جـاعـر يهـابهـا

وأنـا أظـن دار شـد عنهـا مفـرج

حقيق يـا دار الخنـا في خـرابهـا[٤]

وأنـا أظـن دار نزل فيها مفـرج

لا بـد ينبت زعفـرانـن تـرابهـا

فتى مـا يـظم المـال إلا وداعـة

ولـو يملك الـدنيـا جميعن صخـابهـا

رحـل جـارنـا مـا جـاه منا رزيـة

وإن جتنـا منه مـا جاه منـا عتـابهـا[٥]

وصلوا عـلى سيـد البـرايـا محمـد

مـا لعلع الجمري بعـالي هضـابهـا. .

كـان المهادي يغني عـلى ربابتـه هـذه القصيـدة ومفـرج يستـرق السمـع حتى فهم بـالضبط مـا الـذي جعله يقـول لجـاره إمـا ارحلوا وإلا رحلنا. . لما أتم المهـادي قصيده تـوجه إلى أهله. . وعـاد مفرج وركب فرسه باتجاه أهله خارج حدود القبيلة. .

مفـرج تـأكـد أن السبب يكمن في أولاده ولكنهم ثـلاثـة فـأي الثلاثة صاحب الخطيئة، وإلى أين وصلت. . فلجأ إلى الحيلة وبدأهم واحداً تلو الآخر. . يقول لهم لما كنا في جيرة المهادي كان لديه ابنة جميلة ولم تتعرضوا لها لو كنت مكانك وفي شبابك لما تركتها خصوصاً وهي بهذا

---

(٤) يبين محبته لمفرج فحتى الأرض تنبت الزعفران إذا وطاها وتخرب إذا جفاها. .

(٥) يبين أن مفرج رحل وهو لم يسمع منه شيئاً وحتى لو تسبب بشيء لم نعاتبه.

الجمال وأنت بهذا الشباب . . .

وأخذ يستدرجهم . . أما اثنان منهم فلم يجد وراءهما شيئاً خصوصاً وهما يعرفان ماذا عمل المهادي مع والدهما . .

أما الصغير منهم فأجابه . . والله يا والدي لو لم نرحل في ذلك اليوم لأتيتك بخبرها . . عرف أنه هو . . . فقال مفرج : وهل كان ذلك برضاها ! ! فقال ولده لا بل غصباً عنها . . فقال له وكيف كنت سوف تغتصبها ! ! فقال كنت أنتظرها حتى تخرج وحيدة . . وأتربص لها . . ثم أهجم عليها ، يد فيها خنجري ويد فيها حبل أربطها بالحبل وأهددها بالخنجر ولن تتكلم حتى أنتهي منها . .

وما إن انتهى الشاب من قصته حتى قام مفرج مسرعاً وسحب سيفه وقطع رأس ولده وفصله عن جثته التي تركها في مكانها . .

وعاد لأهله بالرأس ووضعه بخرج وأمر أحد أبنائه أن يحمله إلى المهادي ويسلم ويرمي الرأس بحجره ويعود دون كلام . .

وبالفعل دخل الولد مجلس المهادي وسلم ورمى الرأس في حجره وعاد دون كلام ولحق أهله . .

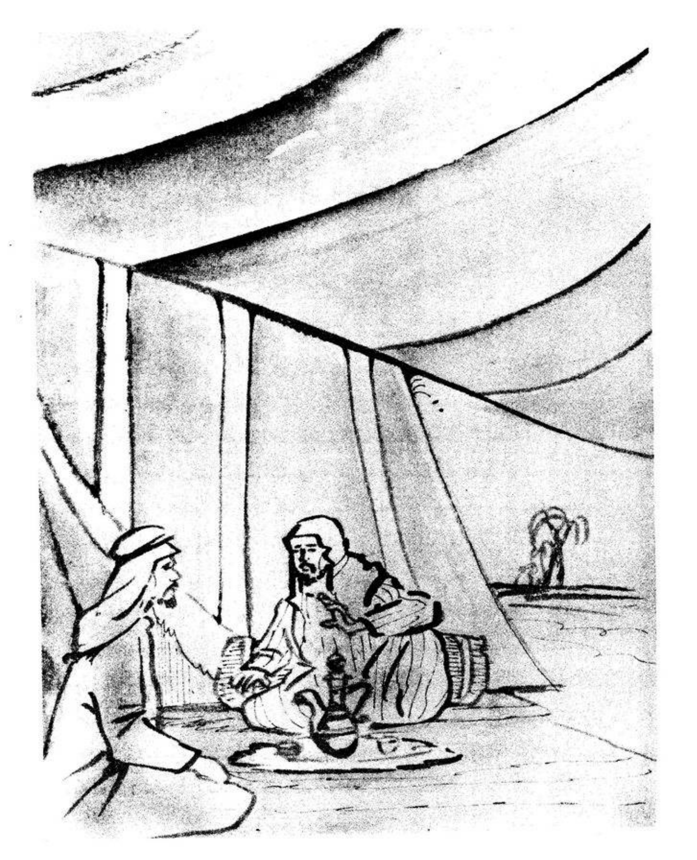
تعجب المهادي أيضاً لحسن صنيع مفرج فهذه المرة الثانية التي يغلبه فيها . . فلحق به وأقسم عليه أن يعود وأعاده إلى مكانه السابق وبقيا متجاورين ومتحابين إلى النهاية ! !

* * *

بداح العنقري

يقول الراوي:

بداح العنقري أو كما ينطقها البعض العنجري.. تاجر من أهل الحضر، لديه دكان في سوق إحدى قرى نجد.. وكان البدو ينزلون القرى ويكتالون بالدَّيْن إلى أن يبيعوا «السمن والسمين» على حد قولهم، فيوفوا صاحب الدكان حقه وهكذا.. ونظراً لطبيعة تعامل بداح العنقري مع أهل البادية فقد كون علاقات جيدة مع البدو نظراً لما يتمتع به بداح من سمعة طيبة وتعامل نظيف.. وفي إحدى السنوات نزلت قبيلة من قبائل البادية بالصيف بالقرب من قرية بداح، ونظراً لما يربط بداح بهذه القبيلة من علاقات فقد خرج لهم وسلم عليهم وأعطاهم ما يحتاجونه من مؤن. وصادف أن رأى فتاة جميلة في هذه القبيلة أعجبه جمالها، وكان والدها رجلاً كريماً ويعرفه بداح من تعامله معه، فقرر بينه وبين نفسه خطبتها. ولما رحل البدو وعادوا إلى منازلهم في بداية الموسم ركب بداح وتبعهم ونزل ضيفاً على والدها الذي أحسن استقباله وقام بواجبه فالرجل شهم كريم وبداح يستحق حسن الاستقبال لما له من أفضال على تلك القبيلة..



وبعـد أن قام والـد الفتاة بـواجب الضيافـة فاتحـه بداح بـرغبته بالاقتران بابنته طمعاً بنسبه. . فلم يكن للوالـد بد من المـوافقة عـلى طلب بداح ولكنه اشترط موافقة الفتاة أولاً لأن بداح سوف يـأخذهـا للقرية إذا تـزوج بها، ومن هنـا كان لا بـد من أخذ رأيهـا. . وكانت الفتـاة بـالجـزء الثـاني من بيت الشعـر بحيث أن بـداح يسمعهـا فلم يكن بينهـما سـوى قـاطـع بيت الشعـر الـذي يفصـل المجلس عن المخـدع وهو لا يعـزل الصوت. . وكـان بداح يسمـع حـوارهـا مـع والدها. .

قال لها الـوالد: بـداح يريـد الزواج بـك وسيأخـذك لقريتـه فما رأيك؟

أجابت الفتاة: الحضري لي خيال نظره. . زين تصفيح لا يصلح لي ولا أصلح لـه. . وهي تعني أن أهـل الحضر ذوو هيئـة ومـلابس نظيفة فقط، لذا فهم لا يصلحون لها. .

سمـع بداح مـا دار بـين الـوالـد والفتـاة. . وسكت. ولمـا عـاد الـوالد حـاول أن يعتذر لبـداح بأيـة طـريقـة. . وقبـل بـداح عـذره وشكـره وطلب المبيت عنـدهم حتى الصبـاح ليعـود ثـانيـة من حيث أتى!! وفعلاً بات عندهم تلك الليلة. .

وفي الصباح الباكـر وقبل رحيـل بداح حصـل أن أغار قـوم على أهـل الفتـاة وأخـذوا حـلالهم كله وابتعـدوا بـه، فصـاح الصيـاح بالمضارب وهرع القوم للحـاق بإبلهم وتخليصهـا من أيدي الغـزاة. . هـذا كله وبداح جـالس يشرب القهـوة ولا يحرك سـاكنـاً. . والفتـاة

تنظر إليه بازدراء. . وهي تردد على مسامعه: الحضري خيـال نظره!!
وهو لا يكترث لهـا. . ولما جـاء الضحى عـادت فلول القوم منهـزمة لم تستـطع تخليص حلالهـا من أيدي الغـزاة. . في هذه اللحـظة تنـاول بداح سيفه ورمحه وركب فرسه وأغار بـطلب الغزاة وحيـداً. . والفتاة تنظر إليه. .

ولما جاء العصر عاد بداح وقـد هزم الغـزاة وحيدا وأعـاد الحلال كاملاً ومعـه خيل الأعـداء، وبعضهم مأسـورين. . فتعجبت القبيلة كلها من فروسيتـه وهو الضيف الـذي لا يلزمه شـرع البدو بمنـاصرة مضيفيـه إلا من باب النخـوة. . شعرت الفتـاة بالخجـل لما قـالته لـه فـوقفت تزغـرد له وكـأنها تعتذر وتقـول قبلت الزواج بـك ولمـا وقف بالقرب منها أنشد هذه الأبيات:

الله لحـد[١] يـا مـا غـزينـا وجينـا
ويـا ما ركبنـا حاميـات المشـاويـح[٢]
ويـامـا عـلى أكـوارهن اعتلينـا[٣]
ويـاما ركبنـاهن عصيرن مـراويـح[٤]
ويـامـا تعـاطت بـالهنـادي يـدينـا
ويـامـا تقـاسمنـا حـلال المصـاليـح
وراك تـزهـد يـاريش العـين فينـا
تقـول خيـال الحضر زين تصفيـح

(١) الله لحد: قسم بوحدانية الله
(٢) حاميات المشاويح: الخيل سريعة الانطلاق
(٣) اكوارهن اعتلينا: ركبنا ظهورهن
(٤) مراويح: عائدات وقت العصر.

الـطيـب مـا هـو بس للظاعـنيـنـا

مقسمن بـين الوجيـه المفـاليـح[٥]

البـدو والـلي بـالقـرى نـازلـينـا

كلن عـطاه الله من هبّـة الـريـح[٦]

يـوم الفضول بحلتـك شـارعينـا

بالشلف[٧] ينحونك[٨] سوات الزنانيح

يـوم انجبر[٩] رمحي خـذيت السنينا

وادعيت عنك الخيل صم مدابيح[١١]

هيـا عـطينـا الحق هيـا عـطيـنـا

وإن مـا عـطيتينـاه والله لا صيـح

أصيـح صيحـة من غـداله جنينـا

وإلا خلوجن[١٢] ضيعوها السراريح[١٣]

يـا عـود ريحـانن بعـرض البـطينـا[١٤]

ومنـين مـاهب الهـوا فـاح لـه ريـح

---

(٥) الوجيه المفاليح : رجال الفلاح.

(٦) هبة الريح : يقولون فلان هاب ريح أي حرك وهي صفة شجاعة.

(٧) الشلف : جمع شلفا عود برأسه حربه.

(٨) ينحونك :يبعدونك. نحّى : أبعد.

(٩) انجمر : انكسر.

(١٠) السنين : السيف من رهافة حده.

(١١) صم مدابيح : عن هزيمته للخيل وعودتها لا تصهل ثانية رؤوسها وكأن بها صمما.

(١٢) الخلوج : الناقة فاقدة الجنين.

(١٣) السراريح : جمع سراح وهو الراعي الذي يسرح بالإبل.

(١٤) البطين : السهل المحاذي للهضاب.

لا خــوخ لا رمــان لا هــو بتينــا
مشمس البصــرة ولا بـالتفــافيح
وخــدن كــما قــرطــاستن في يمـينــا
وعيــون نجـل للمشقــا[15]ذوابيــح
صـخـف بــلطف بــانهزاع بـليـنــا
يا غصن موزن هزعه[16]ناسم الريح

يقول الراوي :

لما أكمل العنقري قصيدته وسمعت الفتاة كلامه كما سمعه أبناء قومها أهدت نفسها إليه زوجة . . فرفضها كما رفضته هي من قبل وعاد من حيث جاء وتركها تعض أصابع الندم حيث لا يجدي . . ويقول بعض الرواة أن بداح بعد أن أنهى قصيدته ركز رمحه ورمى نفسه عليه وانتحر . ولكن هذه الرواية لا أميل لتصديقها لأنه ليس هناك مبرر لانتحاره فقد تكون الفتاة هي المنتحرة حيث أن هناك سبباً ومبرراً أما فارس مثله فلا أتصور أن يستسلم لليأس بهذه السهولة . .

* * *

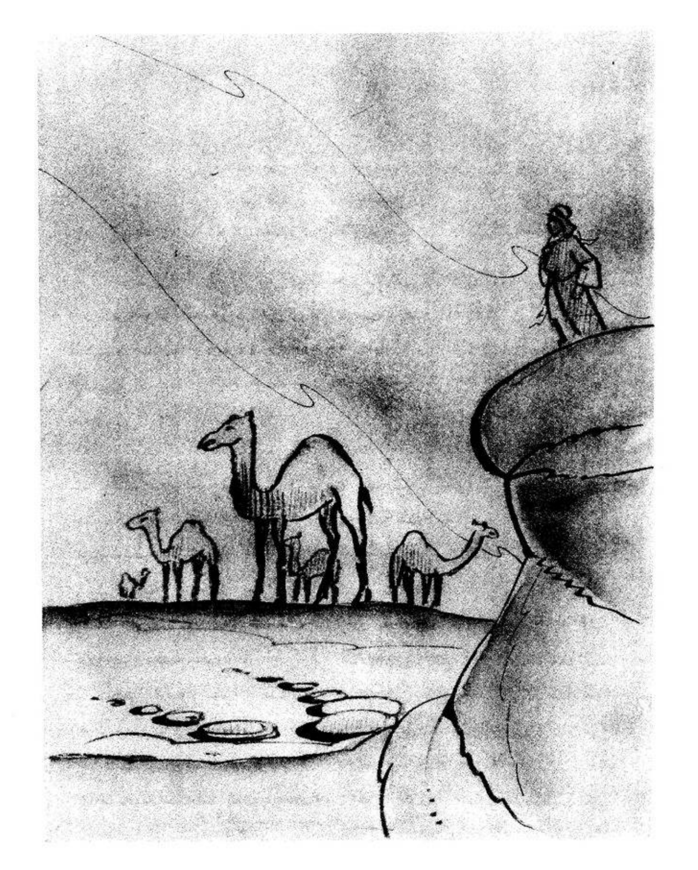
(١٥) المشقا : مأخوذة من الشقا ويعني المحب .
(١٦) هزعه : أماله .

حجرف الذويبي

حجرف الذويبي من قبيلة حرب القبيلة المشهورة في جزيرة العرب. عرف حجرف بالكرم لدرجة أنه كان ينفق كل ما يملكه لإكرام ضيف أو إعانة مستحق.. وهذه من حكايات حجرف الذويبي:

يقول الراوي:

كان حجرف مشهوراً بالكرم، فقد كان ينفق كل ما يملك ولا يهتم، إكراماً لضيفه أو لشخص يطلب منه العون.. وإذا لم يجد شيئاً يذبح شاة أولاده التي يشربون حليبها أو يذبح مطاياه التي يرتحل عليها. وفي كل مرة كان بنو قومه يجمعون له إبلاً ويعطونه إياها عوضاً لما أتلفه بالكرم. وكلما جمعوا له من إبل أو غنم أتلفه بين ذبيح لصاحب حق من الضيفان وعطية لطالب المعروف من العربان ولا يزال هذا من فعله حتى يخرج من جميع ماله، وهكذا.. وفي أحد الأيام كان حجرف وقبيلته نازلين بالقرب من الماء بالصيف وقد أتلف حجرف حلاله كله بالكرم، وأرادت القبيلة أن تجمع له كالعادة فقال بعضهم: لِمَ لا نعطي حجرف درساً قبل



أن نعطيه الإبـل لعله يتعلم أن يمسك عـلى الأقل مـطاياه التي يتنقـل عليهـا؟. واتفقت القبيلة كلهـا عـلى هـذا الـرأي. . فقـد قـرروا أن يرحلوا ويتركوه، حتى يعرف مدى حاجتـه إلى الرواحـل التي تحمله، فـإذا مرت مـدة صالحـة لـلاعتبـار، أرسلوا لـه من الإبـل مـا يحمله وأهله. . . حتى إذا مـا أحس بحـاجتـه إلى الإبـل وبعـد مـرور أيـام يرسلون له الإبل التي ينتقل عليها. .

وبالفعل رحلوا وتركوه وهـو ينظر لهم فلم يلتفت إليـه أحد حتى بقي في مكانه عند الماء وحيداً. . وبالمسـاء أخذت زوجتـه تكثر عليـه الكلام واللوم، وتحاول أن تنصحـه بأنه لو كانت لـديه مـطاياه لعـانق قبيلته ولحق بها. . وهكذا. .

لم ينم حجرف ليلته تلك فهم يـريدون منـه أن يتخلى عن طبع اشتهر به وعرف نفسه من خلاله وهو لا يستطيع. .

وفي الصبـاح الباكـر خـرج حجـرف من بيتـه يمـلأ قلبـه الحـزن والهم، وقصد إلى مكان مـرتفع كعـادة البدو في ضيقهم يبحثـون عن المكان العالي يبثون حزنهم من خلاله حتى تذهب الهموم فيعودون. .

وبعـد أن وقف في هـذا المكـان وتلفت فـإذا: داب أعمى يقف أمـام باب جحـره فاتحاً فمه ولا يتحـرك وإذا بعصفور يقـع عـلى فم الـداب ظناً منـه أنه غصن شجـرة فيلتهمه الـداب ويدخـل جحره. وحجرف يرقبه ولم يبارح مكانه حتى جـاء وقت العصر، فإذا بـالداب يخرج ثانيـة ويفتح فمـه كالمرة السابقـة ويأتي طـير آخر ويقـع في فمه فيلتهمه ويعود لجحـره. . أدرك حجرف أن الـذي يرزق هـذا الداب

لن يتركه أبداً . . فأنشد يقول :

يقول ابن عياد وإن بات ليله
مـاني بمسكين همومه تشايله

أنا اليا ضاقت عليه تفرجت
يرزقني اللي ما تعدد فضايله

يزرقني رزاق الحيايا بجحرها
لا خايلت برقن ولا هي بحايله[1]

ترى رزق غيري يا ملا ما ينولني
ورزقي يجي لو كل حي يحايله[2]

جميع ما حشنا ندور به الثنا
وما راح منا عاضنا الله بدايله

نوب نحوش الفود[3] من ديرة العدا
ونخزز[4] اللي ذاهباتن عدايله[5]

خزن بالأيدي ما دفعنا به الثمن
ثمنها الدما بمطارد الخيل سايله

مع لابتن[6] فرسان ننطح بها العدا
كم طامعن جانا غنمنا زمايله[7]

---

(١) حايله : أي لا تتحول عن مكانها، مأخوذ من التحول.
(٢) يحايله : يتحيل للحصول عليه، مأخوذ من الحيلة.
(٣) الفود : الكسب من العدا بعد الغزو.
(٤) نخزز : من الخزيزة والخزيزة هي العطية المختارة.
(٥) ذاهباتن عدايله : ليس لديه شيء.
(٦) لابه : قوم . . وهو يمتدح قومه رغم تركهم له . .
(٧) زمايل : جمع زمالة والزمالة هي المطية الذلول.

نكسب بهم عـزن وننـزل بهم خـطر
والله من قفـرن[٨] رعينـا مسـايله

وبالمساء بعد أن فرغ حجرف من قصيدته عاد لبيته وإذ هو محاط برعية إبل كاملة فظن أنهم ضيوف واحتار من أين يأتي بقراهم ولما تحقق وجد الرعية بدون راعي فإذا هي رزق بعثه الله سبحانه له . . عقلها وفي الصباح رحل عليها وتبع قبيلته التي تعجبت من حال الذويبي فأين كان وأين أصبح ولما عرفوا القصة لم يعودوا ثانية لمعاتبته على كرمه . .

(٨) قفر: لم يرعاه أحد.



مشعان بن هذال

شيخ مشايخ قبيلة عنزة شاعر وفارس مشهور، حكاياته كثيرة وقصصه تدل على فروسيته وشهامته.. وكان حكيماً فذا لا تخلو قصيدة من قصائده من الحكمة فهو الذي يقول:

يا بايع جوخ على غير أهاليه
مثل الذي ينزل بقصرن خرابه
لو يدهجه[1] وبل الثريا ويسقيه
ويمطر بياقوت ومسك سحابه
ما ينبت النوار لو سال واديه
صبخا وجفجافن[2] هيار جنابه
ولد الردي لو طاب لك لا تماشيه
يومين والثالث يبين الردابه

هذه الأبيات نموذج من شعر هذا الشاعر الأمير وحكاياته كلها

---

(١) يدهجه: أي يكثر عليه المطر والدهج بمعنى الكثرة.
(٢) صبخا وجفجاف: الصبخا معروفة والجفجاف ما يبقى بعد جفاف الماء من الصبح دليل عدم نبته.

جيدة. ومنها هذه الحكاية. .

يقول الراوي:

أصيب مشعان بن هذال بالرمد وطال سقمه كما ذكره بأبياته تسعين ليلة. . وفي أحد الأيام أغار على جماعة مشعان غزاة فصاح الصياح وأخذت فرس مشعان بالصهيل وهي مربوطة حتى كادت تقطع الحديد. . ولما سمع صهيلها نهض من مكانه مسرعاً ورفع الرباط عن عينيه لكي يركبها ويلحق بجماعته ولكنه لشدة حماسه أصاب جروح عينيه المربوطة لشدة نزعه للرباط وسال منها الدم ولم يتمكن من الرؤية فعاد إلى مكانه وهو يتحسر لجلوسه مع النساء كأنه منهن وقال هذه الأبيات. .

يا رب عجل بالنظر والعوافي
وافرج لعينين قد تدانا نظرها
تسعين ليلة ما تهنيت غافي
كن الحماط[٣] بموق[٤] عيني جمرها[٥]
وخمسة عشر ليلة جرى لي هفافي[٦]
ازريت[٧] أميز شمسها من قمرها
يا حظ أبو من قام عدل وقافي
يمشي يريضانن تخالف زهرها

(٣) الحماط: نبتة برية حارة، نوع من الشوك.
(٤) موق عيني: أي محاجر العين.
(٥) جمرها: من الجمر من شدة الحرارة.
(٦) الهفاف: نوع من الوسواس لشدة الجزع من العمى.
(٧) ازريت: عجزت.

صاح الصياح وقيل ما من عوافي

وقامت ترادي[٨] سابقي من سكرها[٩]

وقعدت أنا مع لابسات الغدافي[١٠]

كن ما جرى لي ساعتن في ظهرها

أنا إن لحقت الخيل جاها خفافي

يفرح بي اللي يرتجيني بأثرها

يومن يشيب الراس يبس الأشافي

شبط الخليع[١١]يشيّب اللي حضرها

لا ذل عشاق البني الهوافي

أقفا وخلا عورته ما سترها

أردها والخيل راحت مقافي

كم شيخ قومن نطرحه في نحرها

لعيون مجلي الثمان الرهافي

نفك مظهور القضي في ظهرها

حريبنا لو هو بعيدن يخافي

من سربتن[١٢]نمرا ونيسن نذرها

يا خيلنا يا ماوطت من فيافي

تاطا على كالدوح ناعم شجرها

---

(٨) ترادي: تتحرك بقوة وهي مربوطة.

(٩) سكرها: السكر حاله فقدان الوعي ولكن من الشهامة أعلى مراتب الشجاعة.

(١٠) لابسات الغدافي: النساء اللواتي يضعن الخمار، يسميه البدو غدفة.

(١١) شبط الخليع: إمساك من يخلع من فرسه.

(١٢) سربه: السريه.

وردتهـــا حــوضن من المـــوت صـــافي

واروويت أنـا عود القنـا من حمرهـا[١٣]

قــولـن بـــلا فعـلن علينـــا يشـــافي

يعـطي لسـانـه لسنـه[١٤] من ذكـــرهـا

إن كنت أبـو مشهور واحسب أسنافي

إني لـــورد ســـابـقى في بـــحـــرهـــا

* * *

(١٣) حمرها: يقصد الدم وكنى عنه بلونه.

(١٤) لسنه: داء يمسك اللسان، يدعو به الشاعر على من يكذب.

رميح الخمشي

رميح الخمشي من الخمشة من الـدهامشـة من قبيلة عنزة القبيلة المشهـورة. وهو شـاعر معـروف على مستـوى قبيلته. ومن حكـاياتـه هذه الحكاية.

يقول الراوي:

زعـل رميح الخمشي عـلى شيخ الـدهامشـة ابن مجلاد ونـزح إلى قبيلة الـظفير ونـزل عـلى شيـخ القبيلة ابن سويط، وقـام ابن سـويط بـواجبه وأكـرم وفادتـه. . وكان الخمشي محـدثاً لبقـاً وشاعـراً وراويـاً يحفظ الكثـير من السوالف والقصص والأشعـار. فأحبـه ابن سـويط وقـربه وأصبـح جليسه وسميـره. . ومرت الأيـام على هـذه الحال لا يجلس ابن سـويط إلا والخمشي بجانبـه يحدثـه. . وبعـد مـرور مـدة تغيب الخمشي عن مجلس ابن سـويط عـلى غـير عـادة، وظن ابن سـويط أنه مـريض فتـركـه. . وفي الليلة الثـانيـة لم يحضر، والثـالثـة كـذلك. . فـأرسل إليـه ابن سـويط من يحضـره فحضر فسـألـه عن سبب غيابه فقال:

قـالـوا عـلامـك مـا تجي للتعـاليـل

قلت التهي يـا شـاربـين القهـاوي



ما يستريح اللي بقلبه ولا ويل
ولا يقبل المجلس بعيد العزاوي[1]
هجر النياطبة بعيد المراحيل
ولا تنقضي حاجات رجل يناوي
حلفت مني دين ما يجدع الشيل[2]
مير اعتبوا عبو[3] المشيل[4] الضحاوي
لا جيت بيت الهيلعي قاصب الحيل
عدى عن الشكة[5] بدون خلاوي
أحلى من السكر برقط الفناجيل
وعنيدن الوا للعنيد الملاوي
اللي الياجينا ومر بأشقر الهيل
غير الخروف اللي عليه الغطاوي

عرف ابن سويط أن الخمشي قد اشتاق لجماعته وقبيلته وفي الصباح ركب وقصد ابن مجلاد وطلبه العفو عنه فعفا إكراماً لابن سويط وعاد الخمشي لجماعته . .

---

(١) بعيد العزاوي : العزوة القبيلة .
(٢) ما يجدع الشيل : يقصد مطاياه لا تنزل حملها .
(٣) اعتبوا عبو : احسبوا حساب .
(٤) المشيل : الرحيل .
(٥) الشكة : الشك ويعني كأنه في مكانه خالي الشك .



محمد بن شعلان

محمد بن شعلان من الشعلان شيوخ الرولة من عنزة . . حدثت له حكاية غريبة وبها نوع من الطرافة: يقول الراوي:

حصل بالزمان السابق أن محمد بن شعلان قتل واحداً من جماعته ورحل عن جماعته ونزل عند ابن رمال من شمر. ولأن من عادات البدو حماية الجار فقد أكرم وفادته ابن رمال وأكرمه. بقي عنده فترة تزيد عن الخمس سنوات بعدها أرسل له جماعته من يقول له أن المشكلة حلت وما عليك إلا أن تعود. . وفعلاً عاد لقبيلته وقامت امرأته تبني بيت الشعر وجماعته يذبحون الذبائح وذهب هو يروي إبله على الماء ولما أقبل على الماء فإذا الناس مجتمعة فذهب يستكشفهم ولما أقبل عليهم جاءه اثنان واحد يلحق الثاني فحاول حل المشكلة فأدخل الأول وقال للثاني أنا أمنعك بالوجه. . فلما سمعه قال الثاني مخاطباً محمداً: إذا لم تبتعد ذبحتكما أنت والرجل. . زعل محمد وتناول سيفه وقطع رأسه. . وبسرعة عاد لزوجته وقال لا تكملين بناء بيتك سنرحل قالت: ذبحت رجال! قال نعم قالت: ادخل على الله، اتركني مع جماعتي فتركها ورحل وحيداً وعاد إلى ابن رمال. . عرف ابن رمال أن هناك سالفة

جـديدة ولكنـه لم يكلمه بـل حضر له القهـوة وكان يشـرب الدخـان فأحضر له السبيل والتتن فقال ابن شعلان :

طس السبيل من أصفر اللون طسه[١]
الشـــاوري[٢] يجـلي عن الكبــد عله
من ردن قـرمن[٣] يجدعـه مـا يـدسـه
كـيفـن اليــاقـلط عــلى النــار دلــه
الله مـن قـلبــن همـــومــه تمســـه[٤]
مست حبــال مهــاوزات[٥] ألا ظـله
لا شفت خطو الطول بالك تعسـه[٦]
وإن فــارقــك شر المـخــاليـق خـله
لـو عنـدنـا من غيب الأيـام رســه[٧]
الأدمـي مـصـلوح نـفـســه يــدلــه
لا جـاك عين عـايلن[٨] طـول حسـه
متــطمشـن[٩] والحق عـيـا يــدلــه

---

(١) طسه : املأه.
(٢) الشاوري : نوع التمباك.
(٣) القرم : الطيب من الرجال.
(٤) تمسه : تسحبه.
(٥) مهاوزات الأظلة : الإبل.
(٦) تعسه : تذهب إليه.
(٧) رسه : خبر.
(٨) متطمش : متفرج
(٩) عين عايلن : عي لا يقبل الصلح.

يعبا له المعشا[١٠] على النقض هسه
ليما يضيق النقض من مضنكن لـه
لا رنق المشقاص[١١] وانجال حسه
ينزال عن كبدي صدا كل عله

(١٠) المحشا: سبيل الدخان.
(١١) المشقاص: المشرب.



فهد الرشيدي

يقول الراوي:

هـذه الحكايـة من غرايب القصص. المكـان: مدينـة حائـل.. كـان هناك «شِيبَـة» والشيبـه حسب الـظاهـر هي أنثى الـذئب بلغـة أولئك القوم.. المهم أن هذه الشيبة تغير على مـا تطرف من العـرب وتنهب ما تنهبه..

وذات يوم أغارت الشيبة ونهبت طفلاً اسمه «فهاد» وأكلته. كانت والدة الطفل اسمها «سريّعـة» بتشديـد على اليـاء.. فأخـذت هذه العجوز بـالصياح عـلى ولدهـا وأخذ النـاس يعذلـونها بأن هـذا قضـاء الله وقدره.. فقـالت والله لا أهدأ حتى تقتـل هذه الشيبـه.. ومن سيجـد ذئباً بـوسط هذه الجبال؟ ومن يقول أن هـذا الذئب هـو الـذي أكل وليدها؟ فكل الذئـاب تتشابـه.. إلا أن الأم لم تهـدأ.. وكـان هنـاك بـالقـريـة ثـلاثـة رجـال عـرف عنهم ولعهم بـالصيـد والقنص، الأول يسمى الصليـطي والثاني الـدغيري، والثـالث فهـد الدرزي الرشيدي.. فقالت هذه الأبيات تستفـزعهم وتنهمهم لذبـح الشيبة.. تقول:

وين السليطي . . جرح قلبي محيطي
على وليفي شلته شينة الناب
وين الدغيري . . صار نفعك لغيري
يا حاسين[1] صيد الغراميل[2] بحساب
وين الرشيدي . . والبكا ما يفيدي
يا خو ثريا يا حجا[3] كل من هاب

انتخى لها الدرزي فهد . . وحمل سلاحه وقصد الجبال وهذا هو يذبح كل ذئب يصادفه ويفتح بطنه لعله يجد علامة . . حتى ذبح آخر ذئب فوجد ببطنه كف الطفل . . فأرسل الذئب ويد الطفل لأمه وأرسل هذه الأبيات :

يا سرّيعة لا تزعجين[4] الونيني
الشيب قبلك فاجين[5] غرة أجواد
لومك عليه كان شفته بعيني
لأخذ ثرا[6] يا شمعة البيض فهاد
بخماسين[7] عقبه لكتفي متيني
عوق العنود[8] الياتنحت[9] بالابعاد

* * *

(١) حاسي : منتظر.
(٢) الغراميل : كثبان الرمل.
(٣) حجا : ذرى أو ظل.
(٤) تزعجين : ترسلين.
(٥) فاجي : فاجأ.
(٦) ثرا : ثأر.
(٧) خماسي : يقصد سلاحه.
(٨) العنود : قائدة قطيع الظبا.
(٩) تنحت : انتحت.

كنعان الطيار

كنعان الطيار من شيوخ قبيلة عنزة وهو شاعر وفارس ومعروف وحكاياته كثيرة ومنها هذه الحكاية . . .

يقول الراوي :

أعجب كنعان بفتاة من قبيلة أخرى غير قبيلته وكانت العداوة على أشدها بين قبيلة كنعان وقبيلة معشوقته، لذا لم يتمكن من خطبتها وهذا هو يراقبها من بعيد . . وحصل أن رحلت قبيلتها وكنعان يراقبهم . . حتى إذا ما ابعدت «المظاهير» أي الركائب . . عادت الفتاة ولعلها نسيت شيئاً عادت إلى مكان بيتها وحيدة على جملها . . وهذا ما كان ينتظره كنعان . . ففاجأها في مكانها وعرفت أن لا مناص منه فلجأت للحيلة وأخذت تهادنه . . فقالت له اربط فرسك وانظر من هذا المكان المرتفع هل يرانا أحد . . وبالفعل ربط فرسه وذهب ينظر . . وسبقته إلى فرسه وركبتها وأخذت رمحه وبادرته بالتهديد بالقتل وأمرته أن يركب جملها ولم يكن له بد من الرضى والطاعة فأطاع وساقته أمامها تريد أن تلحق به العار وتخبر عربها بما جرى منه . . فما كان له سوى أن يترجاها وإلا فضحته

فأنشد يقول:

يـــالله يـــا فـــراج يـــا والي الأفـــراج
يللي غني والنـــاس غيـرك محـــاويـــج
افـــرج لمن كنـه بحقن من العـــاج[1]
متحيـرن[2] ضـاقت عليـه المنـاهيـج
عزي لمن حطنه[3] البيض[4] مسهاج[5]
ركبن جـــواده واركبنـه هجيهيـــج[6]
يـــا بنت منهـو بـــاللقـا يلبس التـــاج
لا حـل بـالـــربـع المقفـــين تـزعيـــج
الأقـدام خبصاتن بـه الشسع مـا لاج
مـا سيـرت بـالليـل يم التهـاريـج[7]

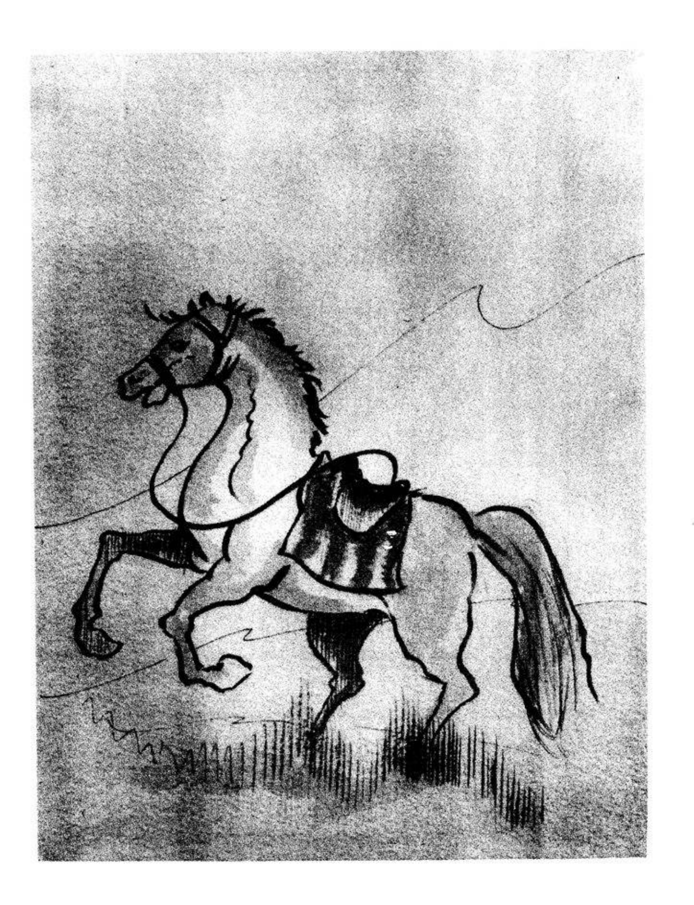
امتـدحها كنعـان وامتـدح أهلهـا وأثنى عليهم لعلهـا تعفـو عنـه ولأنها بنت رجـال. . عفت عنه بشـرط إن نـزل عن الجمـل وتبتعـد بـالحصان والجمـل ومن ثم تنزل وتنـطلق بجملها ويـأتي هو ويـأخـذ جواده وبالفعل تم ما قالت. . ونرى شهامتها ونقاءها وعفتها وعفوها. .

---

(١) والمعنى كأنه مسجون.
(٢) متحير: محتار.
(٣) حطنه: وضعنه النسوة.
(٤) مسهاج: مداس أو طريق.
(٥) البيض النسوة.
(٦) هجيهيج: قعود الفتاة جملها الصغير تحقيراً له.
(٧) ويقصـد أنها ليست بكثيرة الخروج من بيتها بحثاً عن الحكاوي مـع الناس بمعنى أنه يمتدحها اكتفاءً من شرها.

يقـول الرواة أن كنعـان لم يطق عنهـا صبـراً بعـد عملهـا الـذي أعجبه، فبادر إلى خطبتها واقترن بها..

* * *



ضيدان الفغم

ضيدان الفغم فارس وشاعر وأمير معروف من مطير.. يقول الراوي: كان لضيدان الفغم فرس أصيل من خيال الخيل وأجودها، سمع عنها ابن رشيد أحد حكام حائل بذاك الوقت فأرسل إلى الفغم يطلب الفرس منه.. وكانت غالية جداً على الفغم فرفض الفغم أن يعطيها لابن رشيد رغم كثرة محاولاته معه.. وجاء من جاء للفغم يحذره من ابن رشيد فأخذ الفغم الفرس ولجأ لقبيلة العجمان، وكان له صديق من العجمان اسمه ابن عرشان فنزل عنده وجاوره.. وكانت عين الفغم على الفرس لا تغيب عن عينه لحظة واحدة. وذات ليلة رأى رجلاً يدير الفرس فظن أنه سارق يريد أن يسرق الفرس فطمأنه ابن عرشان وقال هذا جار أبي شقرة العجمي من الجماعة.. ولكن طالت فترة وقوف الرجل عند الفرس فغضب ضيدان منه وخرج له ولطمه لطمة شجت وجهه..

فذهب المضروب إلى جاره أبو شقرة يشتكي ضيدان وما عمله معه.. فهب أبو شقرة لنجدة الرجل فأغار على فرس الفغم

فقتلها. . وهنا جاء دور ابن عرشان الذي يلزمه شرع البادية بأن يطالب أبا شقرة ويحاجه على فعلته واختصم الإثنان ففرض على أبي شقرة غرامه قدرها خمس وعشرون ناقة تسلم للفغم عوضاً عن فرسه. . وبهذه المناسبة يقول الفغم :

واقلبي اللي صار فيه اجتوالي[1]
ورجلي خفن عقب ماهن ثقيلات
من حر قبا[2] من نفايس حلالي
جاها أبو شقرة عاذرة[3] بين الابيات
راحت ويبراها[4] سوات الغزالي
ماتت وحتى الفوج من موتها مات
قصيرتن لمبهرين[5] الدلالي
في وجه[6] ابن عرشان من قبل الأهوات
قصيركم يا ذاهبين الحلالي
ذالي ثلاث سنين والرابعة جات
لو أنها راحت خلاف التوالي
ما توجع الرجال من عرض ما فات

(١) اجتوال: تجول ويقصد كثرة الهموم وكأنها تتجول بقلبه.
(٢) قبا: فرس.
(٣) عاذرة: أي مربوطة بالحديد بين البيوت.
(٤) يبراها: يتبعها.
(٥) مبهرين الدلالي: ويقصد بالبهار الهيل أي أصحاب مجالس.
(٦) في وجه: أي في حما.

حـدانا[٧] اخـونوره[٨] حـدته الليـالي
فـرسـانـا تـذبـح كـما ذبحـه الشـاة

* * *

(٧) حدانا: أجبرنا.
(٨) أخونوره: يقصد ابن رشيد.



عبدالله بن رشيد

عبدالله بن رشيد من آل رشيد من شمر حكام حائل بالزمان السابق وأخباره بالشهامة والفروسية شائعة مذكورة. . وكان إلى جانب ذلك شاعراً مجيداً تتناقل الركبان شعره، وتتناشده البوادي وكان لفخره طعم خاص إذ تصدق أفعاله أقواله ومن درر هذا الشاعر الأمير:

حنا علينا الجار نرفا خماله
ونفزع لمن جانا من الضيق دخال
والضيف يقرأ حين تبرك رحاله
عميلنا نرخص له الحال والمال
وإن جا عدو من صديقن صباله
ما بات وبقلبه من البوق ولوال
ونصبر كما تصبر رواسي جباله
ما تنهزع من وطي حافي ونعال

من حكايات عبدالله بن رشيد هذه الحكاية. . يقول الراوي:

حينما كثرت النزاعات بين آل رشيد أنفسهم تغيرت أحوالهم

وحصل ما حصـل واضطر عبـدالله بن رشيد إلى الخـروج من حائـل مشياً على الأقدام. . وكان برفقته زوجته وخادم لـه اسمه «حسـين». ولأن الأرض صخـرية في جبـال حائـل وكانت زوجتـه تمشي حـافيـة ليس بقـدميها نعـال وهي بنت الشيوخ المـدللة المخدومـة ولكن نظراً لما حل بهم اضطرت للخروج مـع زوجها. وكـان الأمير وحسـين قد تعـودا على الخشـونة والجلد فلم يتـأثرا، أمـا هي فقد أحنى الصخـر قدميها وأخذت تتمايل بمشيتها ولما التفت لها عبـدالله رق لحالهـا وقدر ما هي به فأمر الخادم أن يرمي نعليه لها وهو يقول:

ارم النعول لمغزل العـين[1] يا حسـين
أو اقـطع لها من ردن ثـوبك[2] ليـانه

يـا حسين والله مـالها سبت[3] رجلين
يا حسين شيب بـالضمير إهكعـانه[4]

جنب حفـاة القاع[5] واتبـع بها اللين
واقصر إخـطا رجليك وامش امشيـانه

وإن شلتهـا يا حسـين ترمـا بها شـين
حيث الخـوي يا حسـين مثل الأمـانه

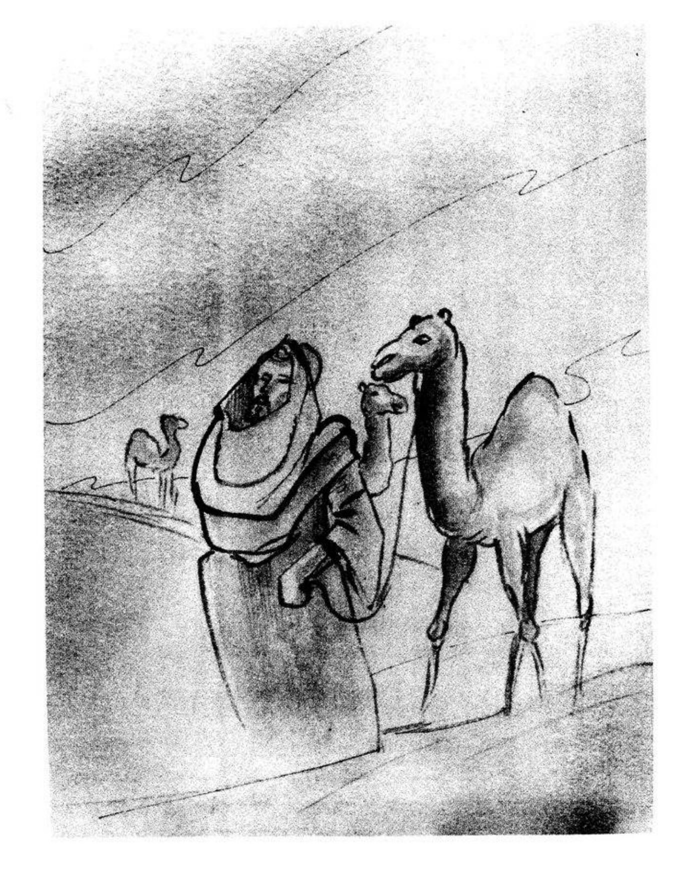
---

(١) مغزل العين: يقصد زوجته ويصف جمال عيونها.
(٢) ردن ثوبك: ويقصـد كم دشداشتـه لكي تربـطه على رجليهـا ليلين عليها الـدوس بالأرض.
(٣) سبت رجلين: يقصد أن قدميها رقيقة ولم تتعلم على المشي بالحفا.
(٤) هكعانه: أي تمايلها والهكع من العرج.
(٥) حفاة القاع: الأرض الوعرة.

ما يستشك[٦] يا حسين غـير الرديـين
وإلا تـرى الـطيب وسيعن بـطانـه[٧]

* * *

(٦) يستشك. لا تدخله الريبة.
(٧) وسيع البطان: من لا يلتفت لـلأمور التـافهة ويقصـد أنك إن حملتهـا على ظهـرك فلن تدخلني الريبة لأن الصديق مؤتمن.



ناصر بن عاتق

ناصر بن عاتق من أمراء الجياشة من بني حارث، وهي قبيلة معروفة بالحجاز ومنها رجال مشاهير لهم أفعال طيبة.. من حكاياتهم هذه الحكاية عن ناصر بن عاتق شيخ الجياشة من بني حارث

يقول الراوي:

في إحدى السنين تجاور فخذ من الروقة من عتيبة مع الجياشة من بني حارث، وكعادة البدو يتزاورون لتقوى أواصر المحبة بينهم خصوصاً في أوقات السلم بين القبائل وغالباً ما تكون بالصيف أثناء نزولهم على الماء.. كان من بين الروقة شخص يدعى «فرز الحافي» صادف وأن التقى في أحد المجالس مع الشيخ ناصر بن عاتق وقدم له فنجان قهوة!!

ومضت الأيام ورحل كل جار إلى قبيلته فصادف أن أغار الجياشة على إبل الروقة وأخذوها كلها وكان من ضمنها إبل فرز الحافي فقال أنا سأعيد نياقي.. قالوا: كيف؟ قال اطلب الشيخ ناصر حق فقد سبق وإن أعطيته فنجان قهوة.. قالت له جماعته

ليس في عادات البدو أن يكون لفنجان القهوة حق. . ولم يسمع كلامهم ورحل إلى الجياشة ونزل عند الشيخ ناصر بن عاتق وذكره بفنجان القهوة وطلب منه إبله فأمر ناصر جماعته بإحضار إبل فرز الحافي لا تنقص منها واحدة ويقولون أنه أمر له بهديه أيضاً. . ولما عاد سأله الروقة جماعته عما حصل فأنشد هذه الأبيات يخبرهم. .

يا روق[1] يللي للسوالف هجاجي[2]
ردوا سلامي يم ذربين الايمان
ادوا[3] نياقي ما وراها مناجي
ادوا على العرب حلوات الالبان
بعد أخذوها بالحزوم الزراجي
وقالوا كثير الناس ما فيه عقلان[4]
جتني ولا جاني جوابن عواجي[5]
وحياك يا علمن من الراس قزحان[6]
أهل بيوتن بينه ما تلاجي
يفرح بها اللي حده الليل جيعان

(١) روق: يعني جماعته الروقة.
(٢) هجاجي: يامن تفرحون للسوالف الطيبة.
(٣) أدوا: أعطوا
(٤) ما فيه عقلان: لن تستردها.
(٥) جواب عواجي: يقصد كلام غير لائق، فقد ردت إبله مع الترحيب والبشاشة
(٦) قزحان: حالاً.

ماريه[٧] الترحيب طلق الحجاجي[٨]
غير الكلام الزين ومفطح الضان
ناصر لهل عوص النجايب سراجي[٩]
لا جا نهارن فيه عج ودخان

* * *

---

(٧) ماريه : علامه
(٨) طلق الحجاجي : دليل البشاشة انطلاقه الحجاج أعلى العين.
(٩) عوض النجايب سراجي : دليل النجيبات من الإبل وقت الحرب.



فالح العتل

يقـول الراوي . . كـان لفالـح العتل ابنـة عم على قـدر كبير من الجمال، وكان «محيرها» أي مـانعها من الـزواج بغيره حسب عـادات أهل البادية حيث يعطى ابن العم الأحقيـة بالـزواج بابنـة عمه قبـل غيـره ولا يمكنها أن تتـزوج بدون أن يسمـح لها وإن زوجهـا والدهـا متجـاوزاً العرف فقـد يتعرض هـو للقتل كـما يتعرض الـزوج أيضاً. لذا نجد أن هذه العادة محترمة بينهم . . المهم أن فـالح هـذا أوقف ابنة عمه عن الزواج بغيره لأنه يريـدها وهي رفضت الـزواج به لأنها لا تريده، وبقيت هكـذا معلقة . . وفي أحـد الأيام جـاء لفالـح هذا شخص وقال له إن سبب عزوف ابنة عمـك عنك أن هنـاك شخصاً آخر اسمه فـلان من نفس القبيلة هو الـذي أغواهـا ولعب بأفكـارها وغيرها عليك . .

فقـرر فالـح أن يقتل ذلـك الشخص الـذي تحبـه وبـدأ يتتبعه وكـان هذا الشخص مـولعاً بـالصيد يخـرج بالصبـاح ويعود بـالمسـاء فتبعـه وهـو يتحـين الفـرص لكي يقتله . . وبعـد أن تعب الـرجـل استراح في ظل صخرة وكان فالح من خلفـه بينهما الصخـرة والرجـل

لا يراه فمد فالح بندقيته يريد قتله وإذا بالرجل يظهر ربابته ويغني عليها ويقول:

القلب حن وبين الاضلاع يعزل[1]
والعين جاز[2] لها البكا من عناها
على الذي عينه كما عين مغزل
لا شافت الرماي جا من وراها[3]
عساك يا قلب العنا عنه تجزل[4]
أجزال دلون[5] يوم يجزل رشاها
لو كان له في بسرة القلب[6] منزل
ما تنرجا[7] وحبال[8] فالح وراها

كل هذا وفالح كامن له بين الصخور يريد قتله ويقول حتى اسمع البيت الآخر فقد كان الشاب يغني على ربابته وهو يبكي حتى وصل للبيت الأخير الذي يمتدح فيه ابن عمها بأن لا أمل لمن يريدها وابن عمها فالح محيرها خصوصاً وأنه لا يقدر عليه أحد..

---

(١) يعزل: يشق.
(٢) جاز: طاب.
(٣) المقصود عين الظبا.
(٤) تجزل: تنتهي وبالضبط تعني بالبيت تقطع الوصل.
(٥) الدلو: أداة نقل الماء من الجليب.
(٦) بسرة القلب: أحسن مكانه به والبسرة الحبة والثمرة.
(٧) ما تزجا: من يأمل بها.
(٨) حبال فالح: فالح محيرها وحباله وراها أي يبعد من يريدها.

فإذا بطرف بندقية فالح على بلعوم الشاب.. وفالح يحلفه أحلف أنك لا تعلم بوجودي؟!

فيحلف الشاب.. فيقول له جزاء كلامك قد أطلقتها من (حياري) ولك أن تتزوجها.. وتزوجها..



عواء الذئب

هـذه الحكايـة ككثير من الحكـايات التي تصلنـا مجهـولـة أسـماء أبـطالها وذلـك نظراً لمضي فتـرة طويلة عليهـا أو لعل الـرواة اهتمـوا بـالقصة أكـثر من اهتمامهم بـأبـطالهـا . . أو لأن أبـطالهـا ليسـوا من المشهورين كالأمراء أو الفرسـان والذين يحـرص على أسمـائهم قبل حكـايـاتهم . . المهم أنها وصلتنـا بـدون أسـماء أصحـابهـا وهكـذا نوردها . .

يقول الراوي . .

كان هناك رجل بالبادية متـزوج من امرأة ليست من قبيلتـه، بل كانت من قبيلة أخرى مجاورة لقبيلته . ومرت عليه فترة سنة وهو وزوجته يعيشان بأحسن حـال . . وقد اختلفت القبيلتـان وحصل بينهـما نزاع كان زوجها طرفاً فيه . . وكان إخوتها من الجهـة المقابلة أطـرافاً بهـذا النزاع واشتدت الأزمة بين طرفي النزاع ممـا حدا بإخوان الـزوجة أن يـأخـذوهـا ليـلاً من بيت زوجهـا نكـالاً لـه . . وهي لم تكن راضيـة بفراقها لزوجها وكذلك زوجها الذي كـان يحبها حبـاً كبيراً أيضـاً . . ومرت فترة طويلة بعض الشيء على فراق الزوجـين والكل منهم كـان

يريد الآخر ولكن النزاع الحاصل حال بينهما . .

ضاقت الأرض بالـزوج، فهو يـريد زوجتـه ولا سبيل لـوصولـه إليها . ففكر بطريقة . . أن أرسل إليها إحـدى عجائـز القبيلة تبلغها برغبته بلقـائها . . ورسم لهـا خطة للقـاء . . وبالفعـل ذهبت العجوز للزوجة وأبلغتها بذلك فرحبت الزوجة بالفكرة . .

ولما كانت الليلة الموعودة حيث كـان الوعـد بينهـما بعـد غيـاب القمـر فلم تكن هناك سـاعـات المهم لما غـاب القمـر جـاء الـزوج للمكـان المتفق عليه وكمن بحيث لا يـراه أحـد . . ثم أخـذ بـالعـواء كعـواء الذئب ثـلاث مرات متتـابعة . . عـرفته الـزوجة حيث كـانت تعلم بالخطة سلفاً وذهبت إليه وجلسـا بعد طـول الفراق يشكـو كل منهما حاله للآخر بعد الفراق حتى إذا ما جاء الفجر افتـرقا وعـاد كل منهما لقبيلته . .

مضى عـلى هـذا اللقـاء فتـرة أشهـر . . ويقسم الله سبحـانـه أن تحمـل المرأة من زوجهـا كنتيجة لـذلك اللقـاء . . ويكبر بـطنها فيـراه أخوها ويهددها بالقتل فمن أين لهـا ذلك الحمـل وقد فـارقت زوجها منذ فترة طويلة ولم تكن حاملاً؟

فأعلمت شقيقها بحقيقـة ما حصـل بينها وبـين زوجها ووصفت له المكان وأعلمته بكل ما جرى . .

فقـال الأخ سأذهب أنـا لزوجـك وأتأكـد من حقيقة مـا حصـل فإن لم يكن صحيحاً فليس لك عندي غير السيف . .

ولم تكن القبيلتـان عـلى وفـاق فكيف يـذهب . . فكـر الأخ

واهتدى إلى طريقة. . . فلما جن الليل تنكر وذهب إلى قبيلة زوج أخته ودخل مجلسه وجلس ولم يعرفه أحد. . ولما سكت المجلس تناول الربابة وأخذ يغني عليها. .

يا ذيب[١] يللي تالي الليل عويت[٢]
ثلاث عوياتن[٣] على ساق[٤] وصلاب[٥]
سايلك بلله[٦] عقبها[٧] ويش سويت[٨]
يوم الثريا راوست[٩] والقمر غاب

غنى هذه الأبيات على الربابة ثم توقف ووضع الربابة مكانها وعاد إلى مكانه. فعرف الزوج أن هذا أخو زوجته وفهم أن زوجته حامل كعادة البدو في سرعةاللمح وشدة الذكاء. . فتقدم وتناول الربابة وأجاب:

أنا أشهد أني عقب جوعي تعشيت
وأخذت شاة الذيب من بين الاطناب

(١) يا ذيب: يقصد الزوج. . لأنه تشبه بالذئب في عوائه.
(٢) عويت: صوت الذئب.
(٣) عويات: جمع عوية والعوية العواء صوت الذئب.
(٤) على ساق: وراء بعضها البعض.
(٥) صلاب: قويات يسمعها المنتظر.
(٦) سايلك بالله أسألك بالله
(٧) عقبها: بعد ذلك.
(٨) ويش سويت: ماذا عملت.
(٩) راوست: أي أصبحت على الرأس.

علـى النقـا وإلا الـردى مـا تهقــويت

وادو حـلالي يـا عــريبـين الأنســاب .

فلما فـرغ الـزوج من أبيـاتـه فهم الأخ أن أختـه كـانت روايتهـا صحيحة وانسحب بدون كلام وفي الصباح أعادوا له زوجته . .

حكاية فتاة

يقول الراوي :

هذه الحكاية لفتاة من بنات البدو يقـال أنها من بنات آل عـريعر وليس هناك دليل على صحة كـونها لبنت ابن عريعـر زعيم بني خالـد القبيلة المشهورة وآل عريعر تاريخهم مشهور بالجزيرة العربيةوهم بغنى عن تعريفنا لهم، فالمعروف لا يعرف . .

المهم يقـول الـراوي أن هـذه الفتـاة دارت الـدنيـا عـلى أهلهـا وكانت ابنة شيوخ معروفين وحصل أن أغـار قوم وقتلوا أهلهـا كلهم وهـربت هي وعبدهـا من القتل . . وهنـاك روايـة أخـرى تقـول أنها رحلت من قبيلتها إلى قبيلة أخرى وكان معها عبـدها يقـوم بخدمتهـا ووصلها الخبر وهما بالطريق أن والدها قتل . . خلاصة الحكاية أن العبـد تجبر عـلى عمته بعـد أن عـرف نكبتهـا بـأهلهـا وبـدلاً من أن يخـدمها أصبـح يأمـرها بخـدمته وبـالغ بـإذلالها . . وفي ليلة سهـرت وهي تبكي عـلى ما جـرى لها وعـلى دورات الأيام . . فـأمرهـا العبـد بأن تنام . . فأنشدت تقول:

هنيكم[1] يـا أهل القلوب المـريحـة

ومـا لـوم عيني لـو جـرى دمعهـا دم

أبكي هـلي أهـل الـدلال المليحـة[2]

وأخـواني الـلي كـل مـا قلطوا[3] تم

يـا لعبد هـذي من حكايـا الفضيحـة

خـل السهر لي وأنت يـا لعبـد قم نم

من أولن[4] نـامـر تجيب الـذبيحـة

واليـوم يا عبـد الخـطا صـرت لي عم

وفي الصباح راح يوقظها فوجدها جثة هـامدة.. ويقـول آخرون أنه ربط (قرنها) جـديلتها بيـده ونام فقـطعت جديلتهـا بيده وهـربت حتى فرج الله لها..

* * *

(١) هنيكم: هنيئاً لكم.

(٢) الدلال المليحة: دلال القهوة نظراً لكرم أهلها.

(٣) قلطوا: قدموا

(٤) من أول: بالزمان السابق.

عجيل بن سويط:

عجيــل بـن ســويط من آل ســويط شيــوخ قبـيلة الــظفــير المشهورين. والسويط ليسوا بحاجـة إلى التعريف عنهم فقـد امتاز آل سويط بثلاث معجزات لم ينلها أحد قبلهم الأولى ذبحهم ولدهم إكراماً لجارهم. . حينما قتله والده بيده إكـراماً لابن منـديل من كبـار بني خـالـد القبيلة المشهـورة. . أمـا الثـانيـة فهي حمـايـة آل ســويط للحثربي الشمري حينما تعذرته القبائل حيث قال فيهم. .

ما ظل[1] لي غـير السويـطات[2] ظايـل
دغيم[3] ثنــا[4] بـالسيف دوني[5] وسله

أما الثالثة فهي قصة عقـوب بن سويط حينـما لم يستطع منـاصرة جـاره بسبب كثرة جيش العـدو. . حيث ضرب جبهتـه بيده وقـال:

---

(١) ما ظل: لم يبق.
(٢) السويطات: آل سويط.
(٣) دغيم: شيخ الظفير بذلك الوقت.
(٤) ثنا: وقف.
(٥) دوني: جعلني خلفه ودافع عني.



«اراسـويطي» ومـات في مكانـه من شـدة حماسته.. هـذه الثـلاث معجـزات امتـاز بهـا آل سـويط عن غيـرهم وحكـايتنـا هـذه عن أحدهم..

يقول الراوي:

عجيل بن سويط من شيـوخ الظفـير المعروفـين وكان لـه صديق يـدعى مهيد بن بـريك الأسعـدي من عتيبـه.. وقـد كـان السـويط بـالصيف في بعض السنـين ينـزلـون في الأسيـاح، ومن هنـا جـاءت المعرفة بينهم.. المهم أن مهيد هذا كان رجلاً كـريماً شهـماً شجاعـاً، وقـد لحقه دَيْن عـظيم بسبب كرمـه.. وضاقت بـه الأحوال.. ولأن الصـديق وقت الضيق، فلم يتـذكـر سـوى صـديقـه عجيـل بن سـويط.. وبالفعـل ركب ذلولـه وقصده ولما وصل قـام ابن سـويط بـواجبه حق قيـام لأنه صديقه ويعرفـه وهو رجـل كريم ولـه مواقف طيبة في حياتـه، لذلـك فإن ابن سويط قام بـواجبه عـلى أكمل وجـه ولكن ابن سويط لا يعرف لماذا هو هنـا.. أو لعله يظنـه على وضعـه السابق وليس بحاجة لشيء..

ففكـر مهيـد.. وكـان عنـد ابن سـويط بنفس المجلس شخص يـدعى محمـد الصليتي الشمـري. ومحمـد هـذا لا يعـرف مهيـد ولا مهيد يعرفه ولكن مهيد توسم فيه الرجولة والشهامـة من كلامـه ولأن مهيـد غـريب وليس من القبيلة فهـو بحـاجـة إلى من يسـاعـده ولـو بـالكلام أمـام الأمير ابن سـويط لذا فكـر بـالقصيـدة التي سنـرويها واستشهد بمحمد الصليتي على أنه يعرف عنه حتى ولو أنه لا يعرفه ولكنه توسم بـه سمات الـرجولـة كما قلنـا.. فقال مهيـد بن بريـك

الأسعدي مخاطباً الأمير:

عجيل الندى[1] وابن الندى ماكر الندى

راعـي الندى مـن يـوم بـان عجيـل

عجيـل الـذي مـا جـابن البيض[2] مثله

ولا ظـنـتي مـثله يـكـون مـثـيـل

عجيـل سيفـه تقـل[3] بـراق[4] مـزنـه

كم شـال من جمـهـات[5] من يـعيـل

عجيـل تلم[6] الخيـل من خـوف فعله

كـم يجـمـع المـاء الـوادي المـسيـل

عجيل أنا أشكي لك من الدين ضامني[7]

وجـزاتن[8] عن غـرس[9] ذراه ظليـل

جـزان عن تسعـين غيـدا[10] وديـه

كـنـه تسـاقـا[11] فـوق شط الـنيـل

---

(١) الندا: الكرم

(٢) البيض: النساء ويقصد لم تلد النساء مثله.

(٣) تقل: كأن.

(٤) براق: كالبرق.

(٥) جمهات: جماجم.

(٦) تلم: تجمع.

(٧) ضامني: اضطهدني.

(٨) جزان: أقلق راحتي.

(٩) الفرس: النخل

(١٠) غيدا: نخله

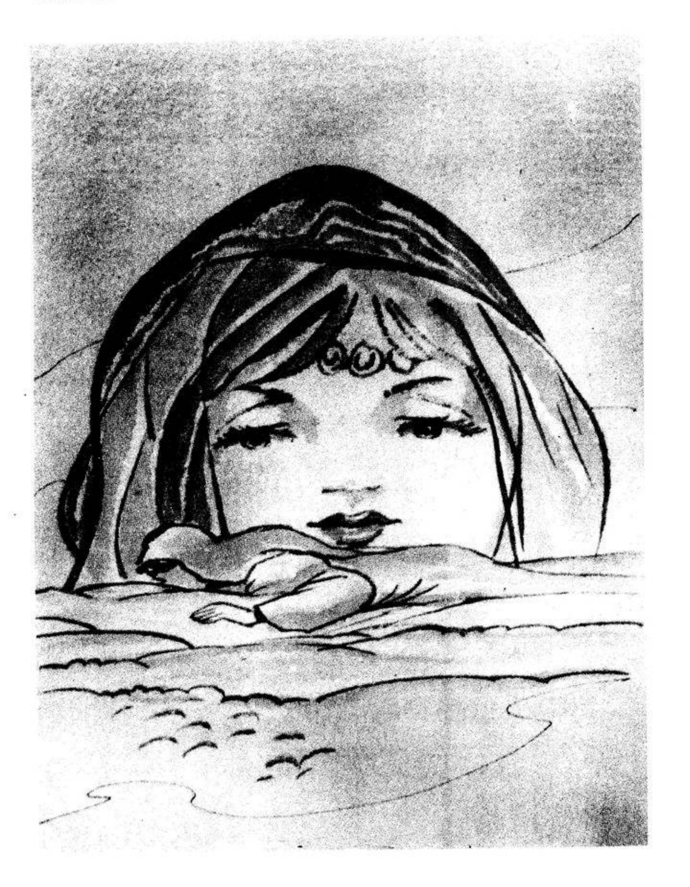
(١١) تساقا: تشرب.

نهلي بمن جـاهن ومـن في جـوارهن
ونهلي بـالعـاني وفي كـل عـميـل
وأنـا شـاهـدي ولـد الصليتي محمـد
ولا أقـول قـولن مـا عليـه دليـل

ولما انتهى مهيد الأسعدي من قصيدته قـام محمـد الصليتي الشمري وقال أنـه صادق.. أنـه صادق.. وأنـا شاهـده ودليله فهو رجل كريم أفقره الكرم..

فـأمر لـه عجيـل ابن سـويط بـالعـطيـة التي رفعت عنـه الضيم وأبعدت عنه الفقر..

* * *



عبد الرحمن التميمي

عبد الرحمن التميمي من بني تميم القبيلة المشهورة بجزيرة العرب، فمنها آل ثاني حكام قطر ومنها كثير من المشاهير وهذا بطل حكايتنا من أفراد هذه القبيلة

يقول الراوي:

نزل التميمي إلى السوق في قرية أوشيقر بنجد.. ودخل عند الصائغ صانع الذهب فلفتت انتباهه ابنة هذا الصائغ، فقد كانت على درجة كبيرة من الجمال وتعلق قلبه بها.. فلم يعد يبرح دكان والدها، وقد كان يسمى عبد الرحمن المطوع من شدة تدينه.. وهو كذلك ولكنه أحب تلك الفتاة وقد كان البدو لا يزوجون الصائغ ولا يتزوجون منه.. وهذا عبد الرحمن يحب الفتاة ولا يبرح مكانه أمام دكان والدها.. حتى انتبهت له.. فخطبها من والدها وتزوجها شريطة أن يبقى زواجهما سراً بينهما.. ومضت مدة والتميمي في رغد مع زوجته.. فحملت وأخبرت صديقتها التي أشارت عليها أن لا تبقي الأمر سراً لحفظ حق ولدها.. فانتشر الخبر وعرف اخوانه بما حصل وحضروا له بالقرية وقالوا له نريدك للذهاب معنا.. فرفض.. فأجبروه.. وخرجوا به من القرية وقصدوا البر..

وصادف أن رأوا غزالاً في إحدى الأشجار نائماً فمد أحدهم سلاحه عصاه أو سهمه حسب ما كان متوفراً في ذلك الوقت يريد قتل الغزال فرجاه عبد الرحمن أن لا يقتله فقد ذكره بزوجته.. إلا أنه لم يستمع له وقتله.. ونزلوا.. فقال له أخوته عليك الآن أن تطلقها.. فلم يقبل.. فأصروا عليه وهو يرفض.. فقالوا إما أن تطلقها أو نقتل أحدكما إما أنت أو هي فطلب منه مهلة يصلي بها ركعتين ويستخير الله.. فابتعد عنهم قليلاً وصلى الركعتين وأخذ يبتهل إلى الله ثم كتب هذه الأبيات..

يقول التميمي الذي شب مترف
مدى العمر ما شيء في زمانه جاه
يا ركب يللي من ضحّي[1] تقللوا[2]
من نجد للريف المريف مداه
رحلنا من جو عكلا وقوضوا[3]
على كل هباع[4] اليدين خطاه
طووا بنا الدهنا والإنسان ماله
إلا أن ما يكتب عليه لقاه
لقوا جازين[5] في دوحة مستظلة
حماه عن لفح السموم ذراه

(١) ضحّي: تصغير ضحا.. أي أول وقت الضحى.
(٢) تقللوا: مشوا.. رحلوا.
(٣) قوضوا: هموا رحيلهم.
(٤) هباع: طويل.
(٥) الجازي: الظبي سموها جازي لأنها لا تشرب الماء.

خذوها فلاً بالرمح زرقن ولا العصا

ولا قلطوا حبل العقال عصاه

غشاها لذيذ النوم والنوم كم غشا

من الناس حذرن وابتلوه عداه[٦]

فقلت نحواني ومثلي ومثلهم

يشكي اليا من الزمان وطاه

دعوها بيلن كود من ذي فعايله

يجزا على فعله يشوف أمناه

يا شمل يا مامونة الهجن هو ذلي

إلى دار من يصعب على لقاه

ادقاق حجل أطراف يا ناق وإن طرا

على البال زاده من عناه شقاه

محا الله قصرن حال بيني وبينها

نجمن من المولى يهد أبناه

أبغي الياهد العلا من قصورها

تذهل عطيرات الجيوب حياه

يظهر عشيري سالمن من ربوعها

هذاك مطلوب الفتى ومناه

ألا واعنا عيني اليا ريت صاحبي

جضعيعن لغيري واحترمت لقاه

---

(٦) يقصد بهذا البيت أنهم غدروا بالظبي حيث كان نائماً ولكنه حذر فلو لم يكن نائماً لهرب منهم وهو كان يبكي نفسه فقد غفل عنهم كالنائم وإلا لكان هرب بمحبونه حيث لا يجدونه.

يصير مملوكن لغيري ويهتوي

وساقيه ما ينحي عليّ بماه

دع ذا وسل وأيها الملا في محلتم

سرا يفتح الظلما شعاع سناه

لاكن بأمر الله تطلق أركونة

عزايله وصف السحاب أرداه

حوراك تبني والذراعين زجن

من الريح زعاجن وطار سناه

وطا ما وطا واللي وطا بعد ما وطا

غطا ما وطا واللي وطاه غطاه

محا ما محا واللي محا بعد ما نحا

محا ما محا واللي نحاه محاه

عصا ما نصا واللي عصا بعد ما نصا

نصا ما عطا واللي نصاه عطاه

وإن كان لي ظن وهاجوس خاطري

قد حال بين البازمين غشاه

من باعنا بالهجر بعناه بالنيا

ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه

إلا قفا جزا الأقا ولا خير بالفتى

يتبع هوى من لا يطيع هواه

خليلي يشادي خاتم العاج وسطه

تقول انفرج لولا البريم زواه

خليلي خلا قلبي من الولف غيره
عفت إلا خلا والخدون حذاه
خليلي ولو جا البحر بيني وبينه
ذبيت روحي فوق غبة ماه
خليلي ولو يرعا الجراد رعيته
أهظله من خشمته ورضاه
خليلي ولو يزرع زريعن سقيته
من الدمع وإن شح السحاب بماه
خليلي ولو يبرز على الثرى ريقه
غدا سكر والتاجر يزيد شراه
خليلي ولو ياطا على قبر ميت
بأمر الولي حاكاه حين وطاه
خليلي معسول الشفاتين فاتني
كما فات لقاي الدلي رشاه
كن عن صغير السن حذرن ولا تكن
دنو عن الياشفتة بسن سفاه
إن كان ما جاوز ثلاث مع أربع
وعشر فلا يشفي الفؤاد لقاه
تعاديه ما يدرى تصافيه ما درى
ما سمع من غالبي الحديث أحكاه
عضيت روس أناملي في نواجدي
وقلت آه من حر المصيبة آه

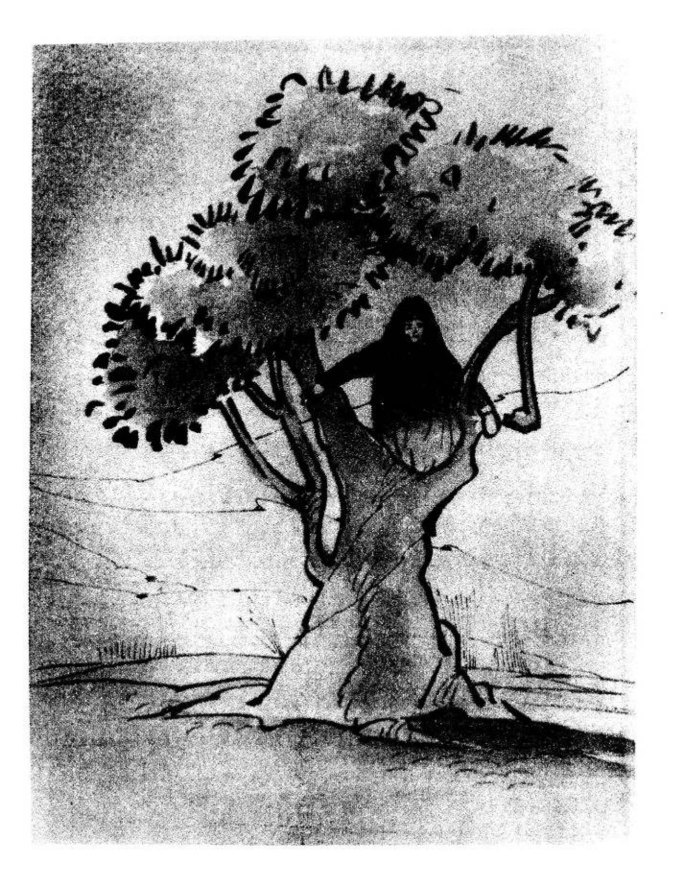
لــو أن في قــول آه طــب لــعــلتي
كــثــرت أنــا في ضــامــري قول آه

ولما أكمل عبدالرحمن القصيدة وقع على وجهه وهم يظنونه ساجداً . فانتظروا وطال انتظارهم . ولما رفعوه وجدوه قد فارق الحياة . . قتله الحب قبل أن يقتلوه . .

فتاة زعب

زعب قبيلة مشهورة من قبائل العرب لها فرسانها وأمراؤها وشعراؤها ولهذه القبيلة شأن عظيم في جزيرة العرب.. من حكايات هذه القبيلة العربية هذه الحكاية التي تعد من أروع قصص التضحية والفداء.. يقول الراوي:

ابن غافل الزعبي أحد شيوخ قبيلة زعب لا يعرف اسمه الأول بسبب مرور فترة طويلة بيننا وبينه، فهذه الحكاية عمرها يزيد عن القرنين من الزمان أو ثلاثة قرون.. كان لابن غافل جار من قبيلة حرب يمتلك إبلاً لا مثيل لها في جزيرة العرب كلها وكان الشريف وقتذاك يحكم الحجاز.. سمع الشريف بابل الحربي فأرسل إلى الزعبي ابن غافل مرسالاً يطلب منه إبل الحربي لأن الحربي هذا برفقة الشيخ الزعبي.. لم يخبر ابن غافل الحربي بخبر الإبل لأنه جاره.. بل أرسل إليه يطلب منه شراء الإبل كلها.. فرفض الحربي بيع إبله لأنها أغلى عليه من أولاده فهي متوارثة وليس لها مثيل في جزيرة العرب.. بعد رفض الحربي لبيع الإبل أخبر ابن غافل مرسال الشريف أن الإبل لجارنا وجارنا لا يعطيها ولا يبيعها فاعتذر من الشريف، فلو كانت لأحد من زعب



لأرغمته. ولكنها للجار والجار كعادتنا لا نرغمه.. عاد مرسال الشريف لمن أرسله وأبلغه.. فقال الشريف أخبرهم إن لم تصلني الإبل خلال فترة كذا يوم فسآخذها بحد السيف.. فوصل الخبر لابن غافل.. وابن غافل يعلم علم اليقين أن القبيلة مهما كان عددها لن تستطع مواجهة حاكم كالشريف لديه جيش كامل العدد والعدة..

حاول الزعبي بشتى الطرق أن يقنع الحربي ببيع الإبل الواحد بثلاث يختارها من أطيب إبل زعب وبدون أن يبلغه بخبر الشريف والحربي يزيد تمسكاً بإبله فعرض الزعبي على الشريف أن يعطيه بدل كل ناقة فرساً وكانت قيمة الفرس تعادل عشراً من الإبل.. فرفض الشريف.. وعرض الزعبي على الشريف دفع فدية بدلاً من الإبل والشريف يرفض.. وأصر على رأيه إما تسليم إبل الحربي أو الحرب.. وكان بإمكان زعب أن تفرض على الجار الحربي بيع الإبل اتقاء لشر الشريف. ولكن أبت شيمتهم ولذلك اختار ابن غافل وقبيلته الحرب ولا يلحق بهم العار من جارهم رغم علمهم أنهم لن يستطيعوا الصمود أمام الشريف وجيشه الجرار..

وسار الشريف لحرب زعب.. ووقعت الواقعة وهؤلاء بنو زعب يكافحون الواحد منهم يحارب عشرة رجال لكثرة ما مع الشريف من جيش.. والكثرة تغلب الشجاعة.. فهزمهم الشريف وأخذ إبل الحربي.. وشتتهم فلم ينج منهم إلا قلة هاموا بالصحراء.. ويقال أن حربهم مع الشريف استمرت لأعوام.. هلك بها من هلك ونجا من نجا ومن بين الناجين ابنة ابن غافل

هرب بها جملها بالليل بالصحراء ونظراً لأنها لا تعرف مصير قومها فلم ترجع وتركته ـ أي الجمل ـ يسير بالصحراء حيث يشاء. . وفي (فيضة سدر) أي واحة بوسط الصحراء بها سدر غفت على ظهر جملها من شدة التعب فأوقعها الجمل عن ظهره وهرب وتركها. . فما كان منها إلا أن التجأت لإحدى شجرات السدر وكمنت على أغصان السدرة بحيث ترى ولا يراها أحد. . ومر يوم أو يومان فكانت هناك قافلة من قبيلة «الدواسر» القبيلة المشهورة أيضاً ففطن لها أحدهم. . فقال لها: أأنت من الإنس أن من الجن؟ قالت: إنس. قال انزلي. . قالت أعطني عهداً. . فعاهدها أنها بوجهه فنزلت. . .ولم تخبرهم بقصتها. . بل اختلقت عذراً. . وصحبها الدوسري مع نسائه. . وأصبحت منهم فرآها ابن أميرهم وأعجب بها فخطبها من الدوسري فاستشارها ثم قبلت فزوجها ابن الأمير. . وبقيت عنده. . ورزقت منه بولد أسماه أبوه «سباع» وكان اسما على مسمى فقد فاق أقرانه بكل شيء بالسباقات التي يجريها أبناء البادية وركوب الخيل وغيره. . فغار منه أقرانه. . ذهب أحد الأطفال لوالدته يشكو لها تغلب سباع عليهم في كل شيء فقالت له: اسأل سباع من هم أخواله؟ وبذلك سوف تحبطه ولن يتغلب عليك فأمه مجهولة النسب ابنة تلك الشجرة!!! أعلم الولد أقرانه فأصبحوا يعيرون سباع بأخواله وأن أمه لا نسب لها. . وهذا سباع كلما سمعهم جاء يبكي لأمه ولم يعد هو سباع الأول فلم يعد يفوق أقرانه وأصبح منطوياً على نفسه. . حزيناً. ومن هنا كان لا بد للأم أن تعلمهم أنهم لا يفوقونها نسباً وحسباً وتحكي حكايتها. . . فأنشدت تقول:

تهيضت[1] يا سباع لدارن ذكرتها

ولا عاد منها إلا مواري[2] حيودها[3]

سباع أمك تبكي بعينن حفية[4]

دموعها تخفي مذاري خدودها

لكن وقود النار بأقصى ضمايري

هاض الغرام وبيح الله سدودها

دمعي يشادي قربتن شو شليه[5]

بعيدن معشاها زعوجن[6] قعودها

زعبيتن[7] يا سباعم ماني بها فيه[8]

ولاني من اللي هافياتن جدودها

أنا من زعب وزعب إلي أوجهوا[9]

على الخيل عجلاتن سريعن ردودها

طريحهم لا طاح شوفي ترايعوا[10]

تقول فهودن مخطياتن صيودها

---

(١) تهيضت: أي باح سري من الذكرى.

(٢) مواري: رسوم أو أطلال.

(٣) حيودها: جبالها حيث كانوا ساكنين.

(٤) حفيّة: لم يعد بها دمع والحفا الجفاف وما يترك من أثر.

(٥) شو شليه: قربه الماء إذا كان بها ثقوب كناية عن كثرة بكائها.

(٦) زعوج: مزعج لكثرة تحركه وتقصد الجمل الصغير الذي على ظهره القربة.

(٧) زعبيه: تعنى أنها من زعب قبيلتها.

(٨) هافيه: مجهولة النسب.

(٩) أوجهوا: تقدموا.

(١٠) ترايعوا: رجعوا فهم لا يتركون المصاب منهم خوفاً بل يرجعون عليه حتى بالخوف.

أهل سربتن[1] لا أقفت لكنها مهجره[2]

واليا أقبلت كن الجوازي[3] ورودها

لحقوا على مثل القطا يوم ورد

متغانمن[4] عين قراحن ورودها

وإن صح صايح بالسبيب[5] أفزعواله[6]

وعزى[7] لغمرن[8] ثبرت[9] به بلودها

خيلن تغذا للبلا والمعارك

ترهب صناديد العدا في طرودها

لا تلقحون[10] الخيل يا زعب يا هلي

ترى لقاح الخيل يردي جهودها

لاجن سماح الخد[11] ما يلحقن بكم

وإن جن مع السندا[12] لزومن يكودها

---

(١) السربه: السرية على الخيل.

(٢) مهجره: من الهجار والهجار القيد فكأنها مقيدة.

(٣) الجوازي: الظبا.

(٤) متغانم: من الغنيمة فيسبق على الشيء ليغنمه.

(٥) السبيب: ذوات السبيب ذيل الفرس فعادة أن يصيح المضيوم (يا أهل الخيل).

(٦) افزعوا له: تسابقوا لمناصرته.

(٧) عزي: للتعزز.. نوع من التأسف.. يا أسفي.

(٨) غمر: من لم يمر عليه من التجارب شيء.. غر.

(٩) ثبرت: أي تخلفت والمقصود هنا فرسه.

(١٠) لا تلقحون: لا تجعلون الحصان يلقح الفرس فلا تعد تركض ويتردى جهدها دليل معرفتها بالخيل.

(١١) سماح الخد: الأرض السمحة.

(١٢) السندا: المكان المرتفع.

ـجانا الشريف بدارنا والتقانا

كل القبايل جامعين جنودها

طلب علينا الخور[١٣] هجمة[١٤] قصيرنا

مصملن[١٥] يبغي حنازيب سودها[١٦]

يا ما عطينا دونها من سبية[١٧]

تسعين صفرا حسبها ومعدودها

تمامهن شعيطا[١٨] خيالة مهوس

أصايلن صنع النصارى قيودها

يقطع قبيلة ضفها ما يذري[١٩]

تشبه جمالن عضها في بدودها[٢٠]

قصيرنا في رأس عيطا[٢١] طويلة

يحجى ذراها من عواصيف نودها

عيوا عليها لابتي واحتموها

بمصقلاتن مرهفاتن حيودها

---

(١٣) الخور: الإبل.

(١٤) هجمة: خصائص والمقصود أنها تخص قصيرنا أي جارنا وبها مغالاة

(١٥) امصمل: مصمم.

(١٦) حنازيب سودها: لونها أسود والحنازيب الجسام دليل عدم جوعها.

(١٧) سبيه: الفرس المسبية من السبايا.

(١٨) شعيطا: اسم فرس يبدو أنها غالية جداً وفارسها اسمه مهوس.

(١٩) ما يذري: لا يمنع وتقصد أن القبيلة لا خير فيها إن لم تمنع عن من استجار بها.

(٢٠) بدورها: أجسامها. . وتقصد الجمال التي لا خير فيها سوى عض نفسها.

(٢١) رأس عيطا: المرتفع من الأرض ورأسها قمتها.

حـربنـا وتـو البنت نشـون بهـا أمهـا

لين استتمت واستوى زين عـودها[1]

عـلى الحنايـا[2] نقضن الجـدايـل

سمـر الـذوايب كـاسيـاتن نهودهـا

ووجيههن كـالمـزنتن عـقـربيـة[3]

هلت مـطرهـا يـوم حنت رعـودهـا

تسعـين لـيلة والـقـراين مـعقـلة[4]

حم الذرى[5] معقـلاتن عضـودهـا

شقـح البكـار الـلي زهن الجنـايب

قامت تضالع[6] من مثاني عضودها

وخيلن تناجي خيل وضربن بالقنا

مثـل التهامي[7] يـوم أحلى جـرودهـا

بنـات عمي كلهـن شقـن الخبـا[8]

بيض التـرايب ضـافيـاتن جعـودهـا

---

(١) تقـول أنهم حاربـوا والفتـاة في بـطن أمهـا ولم تنته حتى أن البنت استتمت دليـل طول حربهم.

(٢) الحنايا: الهودج وكعادة بنات البدو يخرجن للحرب مع الرجال لشحذ همتهم.

(٣) المزنة العقربية: الغيم الذي به برق دليل جمال.

(٤) معقله: مـربوطـه وكانـوا يعقلون الإبل لكي لا يتـركـوا مكـانهم ونـلاحظ هنـا أنها ذكرت ثلاثة أشهر فقط بعد أن كانت تذكر تلك السنين بالبيت الذي يسبقه.

(٥) هم الذرى: حامي الذرى.

(٦) تضالع: من الضلع دليل تعب الخيل لطول الطراد.

(٧) التهامي: هو نوع من الجراد كناية عن الكثر.

(٨) شقن الخبا: خرجن من خباهن حين حمي الوطيس لشحذ الهمم من الرجال.

كلن نهار الهوش[٩] تنخا[١٠] أرجالها
ستر العذارى بالملاقا اسودها
لباستن للدرع والطاس باللقا
على سروج الخيل عجلن ورودها
من صنع داود عليهم مشالح[١١]
تجيبه رجالن من غنايم[١٢] فهودها
يا ما طعنوا في حربتن عوقلية[١٣]
شلف[١٤] تلظى[١٥] يشربالدم عودها
اللي أيتموا في يوم تسعين مهره[١٦]
تحت صليب[١٧] الخد تطوي لحودها
تسعين بني عمي وأبوي واخوتي[١٨]
وتسعين عنان[١٩] واللواحي[٢٠] شهودها
قبيلتن كم أذهبت من قبيلة
إذا عدت الجودات ينعد جودها

---

(٩) الهوش: الحرب.
(١٠) تنخا: تستفزع أو تستنجد.
(١١) مشالح: البشت أو العباءة للرجال وهي تكنى عن لبسهم للدروع كالعباءة.
(١٢) غنايم: لم يشروا تلك الدروع بل غنموها من الأعداء.
(١٣) عوقلية: طرية الحد.
(١٤) شلف: رمح.
(١٥) تلظى: كناية عن حد الرمح وكأنه نار لشدة حدته.
(١٦) ايتموا المهار: أي قتلوا أمهاتها.
(١٧) صليب الخد: الأرض الصلبة فقد كانوا يحاربون بالجبال على ما يبدو.
(١٨) وفي هذا البيت، تذكر أن أخوتها وأباها قتلوا معهم.
(١٩) عنان: لجام.
(٢٠) اللواحي: الخيل تلح بعنانها.

زعب أهل المدح والمد والثنا
من الربع الخالي إلى الحجازي حدودها

إن اجنبوا للصيد منهم تحوز
الربد ووضيحي الجوازي عنودها

وإن اشملوا تهج[1] منهم قبايل
دارن يجوها ضدهم ما يرودها

واليا انتوو لديرتن يا صلونها
تقافت الأضعان عجلن أشدودها

وأركابهم يم العدا متعبينها
بيض المحاقب مقتراتن[2] لهودها

يا ما خذوا من ضدهم من غنيمة
من ذاق منهم ضربتن ما يعودها

نمراً تشادى للجراد التهامي
ما طاعوا الحكام من عظم كودها

أشوف بالحره[3] ظعون تقللت
أبوي حماي السرايا يقودها

شفي معه صفرا تباريه عندل[4]
مرة يباريها ومرة يقودها

---

(١) تهج: تهرب.

(٢) بيض المحاقب مقترات: وتقصد الإبل محاقبها بيض من بعد مس الحبال عليها.

(٣) الحرة: أعتقد أنها بلادهم وهي بجبال نجد وهناك حرة أخرى بالحجاز.

(٤) العندل: الفرس ولسرعة جريها تسمى عندل.

أنـا فتـاة الحي بـنت ابـن غـافـل

وكم من فتـاتن غـر فيهـا قعـودهـا[٥]

شـرشوح ذود ضـاربن لـه خـريمـة[٦]

مـا ودك يشـوفـه بعينـه حسـودهـا

حـولت من نضوي ورقيت سـرحه[٧]

حـطيت لي عشن بـاعـلا فنـودهـا

جـاتني ركـابن نـوخت[٨] في ذراهـا

وشافني عقيد القـوم زيزوم قـودها[٩]

قـال حـولي يـا بنت وانتي بـوجهي

ولاجيتـه إلا واثقـة من عـهـودهـا

أمـرن كـتبـه الله وصـار وتـكـون

سبب عـليَّ من الأعـادي قـرودهـا

بحـرب شـديـدن مـا تمنـاه عـاقـل

يعـده اللي صـاغـرن في مهـودهـا[١٠]

ذكـرت يـومن فـايتن قـد مضى لهم

يـومن علينـا من ليـالي سعـودهـا

---

(٥) القعود هو الجمـل الصغير حيث تـذكر حكـايتها وليست هي الأولى التي يهرب بها جملها.

(٦) المعنى قطيع من الإبل يمشي في أرض خالية.

(٧) تقول أنني هنا نـزلت من (النضو) البعـير ورقيت الشجرة عـلى خلاف روايـة راوينا الذي أكد أن جملها أوقعها بالأرض وهرب.

(٨) نوخت: أناخت.

(٩) زيزوم قودها: أمير الركب.

(١٠) مهودها: بالمهد الأطفال.

صو زمت[١] للمال من عقب سريه

ضـو زمت عـودان الأرطـا وقـودهـا

لكن قــرون الصيـد من خلف بيتنـا

هشيم الغضـا يـدني لحـامي لهـودهـا

تسعــين عــدد صيــدنــا في عشيــة

وضيحيتن نجعـل دلانـا[٢] جلودهـا

قنــاصنــا يــروح شــريـقن وينـثـني

يجي بـالجـوازي داميــاتن خـدودهــا

وروايـنــا يــروى بيــومــه وينـثـني

يجي بالعلاسي[٣] لاحقاتن حدودهـا

غــزاينــا يــروح بيــومــه وينـثـني

يجي بـالعـرايـا ضـايمتهـا ديـودهـا[٤]

لنـا بـين «حبــر والغـرابــات» منـزل

نهد في زين العــرابــا قـعــودهــا[٥]

حنــا نــزلنــا الحــزم تسعــين ليـلة

وغـل الأعـادي لاجـين في كبـودهــا

قــليبـنــا غــزيــرة الجـم عــيـلم

ما ينشدون صـدورها عن ورودهـا[٦]

---

(١) ضوزمت: نار تبينت

(٢) دلانا: تصنع من جلود الضبا (الوضيحي) دلو تجذب بها الماء من البئر.

(٣) العلاس: أكبر من القربه بعض الشيء.

(٤) وتقصد أن الذي يغزو منهم يأتي بالإبل وديودها تقطر من اللبن فهو لا يكسب الضعيفة

(٥) حددت مواقع قبيلتها لتأكيد صدق روايتها حبر والغرابات مواقع أسمتها.

(٦) وتقصد البئر التي يشربون منها كبيرة ولا يسأل الوارد الصادر هل نضبت.

طـولها ثمـان مـع ثمـان مـع اربــع

قبــلي واسط في مـلاوي نفــودهـا[٧]

وهي قليب بحـد الحاذي من الغضـا

مـا دراهـا الـزراع يبـذر مـدودهـا[٨]

ألـفــين بيــت نــازلــين جبــالهــا

وألفين بيتن بـالمضـامي تـرودهــا[٩]

تخــالـفــوا في يــوم تسـعــين لحيــة

على شان وقف الأجنبي في نفودها[١٠]

دارن لنــا مـا هي بــدارن لغيــرنــا

تحـدهـا الــرملة لمـوارد عــدودهـا[١١]

أتمت الأم قصيدها فعرف الولـد بالضبط من هم أخـواله الـذين يـرفع رأسـه بذكـرهم وحميد أفعـالهم ولعل إرادة الله تعـالى أخرجت الأم من صمتهـا ليخلد فعل هـذه القبيلة العربيـة عـلى مـر الأجيـال تخلده قصيـدتها. وسـارت بين الـدواسر قبيلة زوجها هـذه القصيـدة وعرفوا من هي وعاد سباع إلى سابق عهده يتفوق على أقرانه.

* * *

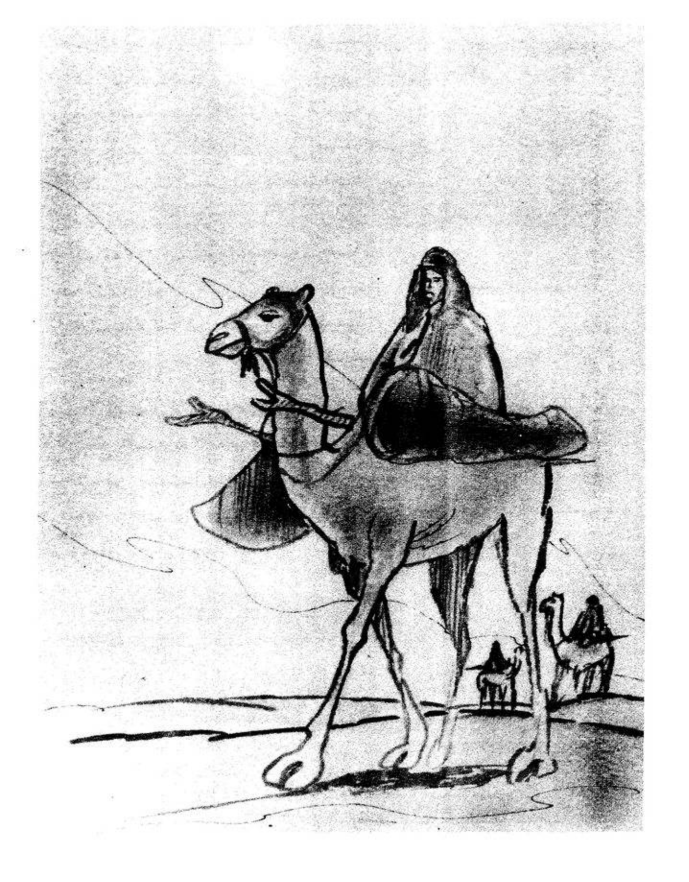
(٧) تحدد موقع البئر وطولها ٢٠ ذراعاً.

(٨) وهي القليب أو البئـر التي يشربـون منها وليست للزراع يـزرع منها والنفـود مـوقـع كثيرة به كثبان الرمل.

(٩) تقصـد عدد بيـوت قبيلتها الفـان والذي يـأتي للشـرب معهم كثـرهم ولكـرمهم لا يمنعون أحداً.

(١٠) تقصد هنـا أن الـذين اختلفـوا تسعـين رجـلاً لأجــل أن لا يـطأ الأجنبي أرضهم ولعلها تؤكد مقتل تسعين رجلاً دفاعاً عن الأرض.

(١١) وتؤكد بالبيت الأخير أن تلك هي أرضنا وتحدد موقعها والعدود جمع عد البئر.



محمد بن دهمان

ابن دهمان من مشاهير فرسان قبيلة الظفير وعرف عنه فروسيته وشعره بالقبيلة.. من حكاياته هذه الحكاية.. يقول الراوي:

كما هي عادات القبائل تحصل نزاعات بين أبناء القبيلة ويزعل بعضهم على الآخر ويرحل.. فقد حصل سوء تفاهم بين ابن سويط شيخ الظفير وبين ابن حلاف شيخ السعيد من الظفير ورحل ابن حلاف ومن معه من السعيد وسكنوا عند قبيلة عنزة.. وكان محمد بن دهمان ممن بقوا بالقبيلة ولم يرحل معهم.. فطالت غيبتهم وافتقدهم فأرسل لهم هذه الأبيات والتي سماها الظفير فيما بعد (المرضية) حيث كانت سبباً بإعادة الأمور إلى ما كانت عليه.. يقول:

يا راكبن من عندنا فوق عرماس
عمليتن قطع الفيافي مناها
تزعل اليانيش[1] المعذر بمنداس[2]
ما تداني المشعاب يلمس قفاها

---

(١) نيش: لمس.
(٢) بمنداس: بعصا

مرباعها خشم الحجر دون الأطعاس

ما خايلت مع الرعية نماها

لا روحت مع خايعن تقل قرناس

شافت مع الصقار شلون دعاها

ملفاك ربعن في ذرى البيت جلاس

محوص الرجال اللي بعيدن خطاها

ربعة نهار الذي خذا العلم بقياس

كم عزبتن بالكون فرق شذاها

مع شافي اللي للمعادين نطاس[٣]

زبن الطحوس اليا تردا جداها

لا جيت قيعي شوق مردوع الألعاس

قل له يدور علتي وش دواها

قل علتي حبي تشتت مع الناس

وكلن يدور عزوته ما لقاها

أرسل علينا الشيخ حبرن بقرطاس

وأبو جليل شيمته ما رماها[٤]

زبن المتلي يوم الأرياق يباس

لا طار عن بيض الترايب حياها

به ذاربن دز المدرع على الراس

واليا قضب حبل القلاعة عطاها

---

(٣) نطاس: نطاح او ملاقي.

(٤) أبو جليل: صياح بن حلاف شيخ السعيد.

عاداتهم فعل القدايم وأهل باس
ولا دوروا عقب العطية جزاها
حنا نراجي قربكم عقب الأياس
والعين ما تبكي لمن لا بكاها
لو هي عليكم كايدة كان لا بأس
طروشكم عطيت على مشتهاها
اتلوا حمول الخيل مهزا به الناس
شيوخن لكم عند القبايل ثناها[٥]
من عقب ما أنتم قاز يعبا للأضراس
اليوم هتمه سكرن ما حلاها
حنا الخضور مطوعة قاسي الراس
نصبر الين النفس تلحق هواها
ننزل الياطب الفراقين وسواس
بأرض خلا ما كل حي وطاها[٦]

(٥) ويقصد بهذا البيت آل سويط الذين تمارون الناس بأفعالهم.
(٦) عرف عن السعيد: إن الظفير إذا هجت القبيلة نزل ابن حلاف فنزلت وهو يفاخر بها هنا.



حمد المري

عـرف عن قبيلة المرة شجـاعة رجـالها وفـروسيتهم وآل مـرة من القبـائل المعـروفة في جـزيرة العـرب يسكن أغلب أبنـاء القبيلة الآن بين قطر والإمارات حيث يتركز ثقلهم هناك . . يقول الراوي . .

هـذا حمد الغيهبـان المري من أبـرز فرسـان آل مـرة . . وكعـادة البـدو يفخـرون بـأفعـالهم ويفـاخـرون بهـا ولكنهم لا يقـولـون إلا الصحيـح حيث يطابق القـول الفعل، فحصـل أن كل فـارس أخـذ يفخر بأفعاله فسئل حمد فقال أنا فروسيتي بنيت على ثمان فقالوا ما هي . . فأنشد يقول:

لاعـدت أفعـال الـرجـال فعـدلي
من الجـود عـدولي ثمـانن خصـايـلي
الأولـة نقـال عجفـة جـاري[1]
يـروح يمـدح جـودتي مـع جمـايـلي

---

(١) يفخر أنه يتحمل من جاره كل ما حصل والعجفة هي الخطأ.

والـثـانيـة مـا ينب قـنن قـامـح

بـين الـرجـال ثقيلين ومحـايـلي[٢]

والثـالثة حـامل خـدورن ليـا جـذت

حامي الثبار من الـطمور الصـايلي[٣]

والـرابعـة عيـد الـركـاب اليـا لفت

لا جـات من دارن لـدارن هـزايـلي

والخـامسـة قيـدوم[٤] دهبـا جـرده

ضـراب روس قـبـايلن بـقبـايـلي

والـسـادسـة نقـال سـيـف ارخـم

عـابيـه[٥] للعـدوان والا العـايـلي

والـسـابـعـة نـقـال عـرق أدهـم

منـه الدمـا عرض الـدروع هشـايـلي

والـثـامنـة لـبـاس ثـوب أبـيض

وكـلن بفـعـله بـالمثـايـل قـايـلي

* * *

(٢) يفخر بأنه إذا دخل المجالس أخذ مكانه فلا هو الذي يطرد ولا يترصد الأخبار.

(٣) إذا وقع الفارس من فرسه يفخر بأنه يحميه.

(٤) قيدوم: المتقدم الذي يتبعه من معه.

(٥) عابيه: موفره أو مستخلصة للطلب حينما يأتي العدو أو العائل.

العتيبي والمطيري

يقول الراوي :

هذه الحكاية لا نعرف أسماء أصحابها ولكن الأكيد أن أحدهم مطيري والآخر عتيبي كما أن المطيري ورد اسمه بأحد أبيات القصيدة التي ذكرها العتيبي . .

كان للعتيبي ذلول غالية عليه إلى درجة غير معقولة فقد كانت من أطيب الركائب تلحق ولا تُلحق. وكان هذا العتيبي رجلاً شجاعاً كريماً شهماً وقد أتعب ذلوله تلك بكثرة الغارات والمغازي . . فقرر في تلك الأيام أن يريح ذلوله من المغازي ويتركها فترة تسمن وتسترد عافيتها . . وبالفعل أراحها فترة فبدأت الذلول تسمن . . فتسلط عليها المطيري (ولد الجديمي) وأخذها حيافة بالليل أصبح العتيبي فإذا مكان ذلوله خالياً عرف أن الذلول أخذت وأخذ بالبحث عنها ليستردها ولا يجد من يذكرها له . . وفي أحد الأيام جاء العتيبي من يذكر له ذلوله أنها عند ولد الجدعي المطيري . .

والمطيري هذا لا يكتفي في غزوة واحدة يأخذ منها ذلولاً فكان كثير المغازي يحوف بالليل ويغير بالنهار. وصادف أن عاد على بيت

العتيبي صاحب الذلول الأول وهو لا يعلم فكمن ولد الجدعي المطيري خلف رواق البيت ينتظر أهله ينامون وإذا هو يسمع العتيبي يغني:

يا فاطري زبني عن اللال[١] مضمون
مع سهلتن ريدا[٢] بعيدن مداها
اروي[٣]لأهل عوص النضا يوم يزرون[٤]
من عقلتن[٥] عسرن على الطي ماها
راحت لولد الجدعي اللي يقولون
بغت تريح وردها في عناها
مع خلبتن[٦] دايم عليها يدوجون
في دربه العرجا[٧] تدور عشاها

لو أن المطيري أخذ ذلوله إلا أنه لم يسبه بل مدحه وأثنى على فعله وهو يتعزز للذلول التي أرادت أن تستريح وتسمن ولكن الجدعي أعادها لسابق عصرها للغزو من جديد.. كل هذا والجدعي خلف الرواق فلما فرغ العتيبي من قصيدته دخل عليه الجدعي وقال له: قل والله أنك لا تعلم عني.. فحلف العتيبي

(١) زبني عن اللال: لكثرة اعتمادها عليها فيه تقيه حر الصيف بتوصيلها له.
(٢) ريدا: خالية.. بعيدة.. مستوية.
(٣) اروى: أجلب الماء.
(٤) يزرون: يعجزون.
(٥) عقلة: أكبر من البئر يشربون منها.
(٦) خلبة: مجموعة.
(٧) العرجا: الضبعة.

أنه الآن لا يعرف من هو. . فقال لـه أنا ولـد الجدعي الـذي ذكرتـه بقصيدتك وابشر بـذلولـك سأعيـدها لـك جزاء مـدحك لي وأنت لا تعلم عني.

* * *



غريّب الشلاقي

غـريب الشـلاقي من قبيلة شمـر والشلقـان معـروفـون فلهم مواقف كثيرة طيبـة وقد طغت شهـرة غريب الشـلاقي في كل مكـان من جزيرة العرب لمواقفه الطيبـة وبطولاتـه الفذة والسؤال هـل أمثال غـريب من الأبـطال تـأتي بـطولاتهم حينـما يصبحـون رجـالاً أم أن لتـربيتهم دوراً في تكوين شخصياتهم؟. . لننـظر إلى الـوراء قليـلاً في صفحـة من صفحات حيـاة هذا البـطل حينما كـان طفـلاً صغيـراً لا يتجاوز الثلاثة عشر من عمره يروي لنا الراوي هذه القصة فيقول:

كان غريب في صغره. . وحصل أن خـرج مجموعـة من جماعتـه للغزو قيل أنهم خمسة أشخاص فتعلق بهم غـريب وهو طفـل ليذهب معهم. . منعـوه فهـو صغـير عـلى هـذه الأمـور الشـاقـة ولكنـه أصر فـاصطحبـوه معهم. . وغزوا قبيلة أخـرى. . وكسبـوا منهم الكسب الكبـير وعـادوا بكسبهم. . فلحق بهم أهـل الإبـل وخلصـوهـا من أيـديهم. . وحمي الوطيس حتى لحقهم الضـرب. . فأصبـح خـوفهم عـلى رقابهم وتـركوا ركـائبهم وهـربـوا هم طـالبـين النجـاة لأنفسهم فـأصيب أحـدهم والتجـأوا إلى الجبـال حتى إذا مـا ابتعـد الأعـداء تدبروا أمـرهم بينهم فقرروا تكسير جذوع الشجـر وصنع نقـالة منها

يحملون صاحبهم عليها ويوصلونه أهله . . وكان غريب صغير السن فأبى إلا أن يشاركهم ونظراً لصغر حجم جسمه فأخذ يشلع من الأشجار ويضعها على كتفيه لكي يعادل طوله طولهم ويحمل معهم وكانوا يمنعونه فيأبى . . وهؤلاء هم في جد ومسير ولحقهم الظمأ وأخذوا يبحثون عن الماء حتى وجدوه في غار في ضف جبل وكان قليلاً اسقوا المصاب منه وأخذوا يتعازمون كل يقول لصاحبه اشرب ويأبى أن يشرب قبل جماعته فاتفقوا أن يشرب أصغرهم «غريّب» فلم يوافق وهكذا حتى شربوا أربعتهم جميعاً . . وكان بالقرب من الماء جربوعاً فاصطادوه وشووه ولكن ماذا يعمل لهم فقرروا إعطاءه لغريّب يقوته حتى يصل وبعد أن وصلوا أهلهم . . أخذوا يحكون لهم الحكاية وكيف لحقهم الجوع والعطش ولم يجدوا سوى ذلك الجربوع الذي أعطوه لغريب يأكله . ضحك الولد وأخرجه من بطن ثوبه حيث كان يخفيه ورماه في وسطهم وقال أصحيح أن آكل وأنتم جوعى . . تأبى شيمتي! فرماه في وسطهم . . ويشب غريّب وتبين عليه مواري الرجولة ويشيع صيته شاعراً وفارساً وشهماً وهذه إحدى قصائده في إحدى غزواته يقول منها :

يا عيال هوشوا[١] دون شيبات الأمتان

ترى الفرج[٢] من دون أهلكم طويله

تلافتوا أفلان وافلان وافلان

وتطابقوا أحماة تالي الدبيلة[٣]

---

(١) هوشوا : حاربوا .

(٢) الفرج : الأرض .

(٣) تالي الدبيلة : آخر الركائب .

يجيـك من يحرص عـلى العلم شفقان

مــزنــن تــردم يــم رجمــن نــخــيــله

تمــطر مــطرهــا بس دمــن ودخـــان

واليـــا انثنينــا يـــركب الـفــورسيـله

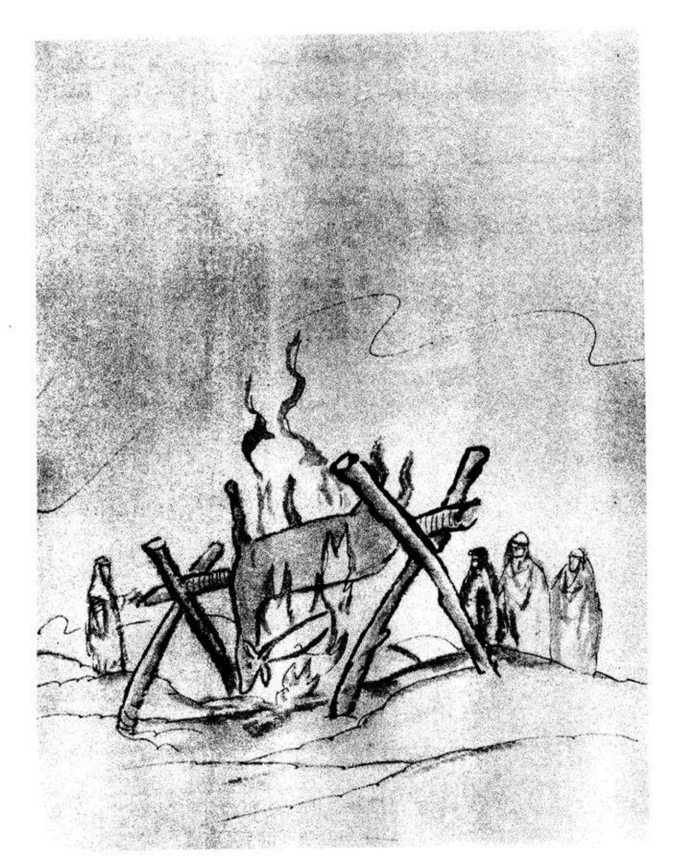
خطو[٤] الولد يمطر بهرجن بلا أثمـان

هبيت[٥] يـــا هـــرجن قليلن حصيـله

* * *

(٤) خطو: أحد.

(٥) هبيت: لا خير فيك.



راشد الخلاوي

الخلاوي راشد.. سمي بالخلاوي كناية عن سكنه بالخلاء وحيداً. هو عالم فلكي برع بحساب النجوم والفصول، ودليل صحراء يعرفها شبراً شبراً.. شاعر وحكيم وفارس وصياد ماهر.. حكاياته كثيرة ومنها اخترت هذه الحكاية..

يقول الراوي:

الخلاوي معروف بكثرة رحلاته، فهو يجوب عباب الصحراء، ولا يقر في مكان واحد.. وفي إحدى المرات نزل على رأس رابية مرتفعة قرب قبيلة.. وكان ولا زال من عادات العرب أن الذي ينزل بجوارهم يكرمونه بأول نزلته عليهم سواء بغداء أو بعشاء.. سأل أهل تلك القبيلة من هو؟ فقالوا أنه راشد الخلاوي. فلم يعيروه اهتماماً. توقع الخلاوي أن يعزموه فلم يفعلوا.. وفي صباح اليوم الثاني خرج للقنص فاصطاد ثماني ظباء وذهب لهم وعزمهم على العشاء قائلاً لهم: من عادتي أن أعزم قبل أن يعزموني.. فاستجابوا لدعوته.. ولما قاموا إلى عشائهم حمل ربابته وأخذ يغني وهم يأكلون..

يقــول الخـلاوي والخــلاوي راشــد
للنـاس ميـلانن[1] وانــا لي لسـانيـه
اليا نزلـوا الطمـان[2] نزلت أنـا العلا
في مـرقبن[3] كـل الخــلايق تـرانيـه
وشبيت نـارن يجـذب النـاس نـورهـا
وعليهـا من لحم الجـوازي[4] ثمـانيـة
ودعيت جيــراني عــلى طيـب القرى
يــومن داعيهم نسـى مـا دعــانيـه
وشلون أخلي الطيب وانكس؟[5] للردا
والأرزاق بـالـدنيـا والأعمـار فــانيـه

أخـذ جيـران الخـلاوي يتجـرعـون عشـاءهم وكـأنمـا يـأكلون العلقم . . فكيف يستترون منه! وبعـد أن انتهوا عـزموه عـلى العشاء فقبل . . ولما ذهبوا أوقد النار، وطوى بيته وشد عـلى راحلته وتـركهم يـرقبون النـار ظناً منهم أنـه لا يزال في مكـانه وفي الصبـاح لم يجـدوا غـير مكـانـه . . ولأنـه كـان يعـرف الاتجـاه ويعـرف الصحــراء فلم يستطيعوا اللحاق به وعلمهم كيف يكون الكرم .

* * *

---

(١) ميلان : تضخيم اموال .
(٢) الطمان : المكان الطامن غير المرتفع .
(٣) مرقب : المكان المرتفع يراه الجميع .
(٤) الجوازي : جمع جازي وهي الظبي .
(٥) انكس : ارجع وهذا البيت خلد بين الناس كحكمة .

عيد الهراس

هـذه الحكايـة . . غريبـة . . يغلب علـيّ الـظن أن للخيـال دوراً كبيراً في صياغة أحداثهـا، وصناعـة مواقفهـا وقد كـدت أعرض عن إيـرادها لـذلك، لـولا أن كثيراً من الـرواة قـد أجمعـوا عليهـا ومنهم سمعتها . . .

بـطل حكايتنـا «عيـد الهـراس» معـروف الاسم مجهـول النسبـة حسب ظني فقد حاولت السؤال والتتبع والاستقصاء والمقـارنة وبكـل ما يستطيعـه المشتغل بـالباديـة وحكايـاتها من وسـائل . . حـاولت أن أعـرف إلى أي قبيلة ينتمي أو حتى في أي المنـازل والمـرابـع جـرت هـذه الحكايـة فلم أوفق مع الحـرص الشديـد وفي النهايـة قـررت أن أثبت هذه الحكاية كما سمعتها .

يقول الراوي :

كـان هناك شـاب وابنة عمـه يحب كل منهـما الآخر محبـة تفـوق الوصف، وكان العـاشقان عـلى وشك الـزواج ولكن لكثرة مـزاحهما مـع بعضهما البعض قـالت الفتاة أنـا أجمل منـك ولو جلبت للسـوق لاشتروني وتركوك . .



قال الشاب: من يشتريك.. وماذا يعمل بك.. أنا على الأقل يستفيد من يشتريني أسرح بالإبل.. أو أحفظ الغنم.. أو أعمل القهوة.. احتد النقاش بينهما على هذا المنوال فقالت لننزل للسوق ونرى.. فكان بالقرب منهما قرية فنزلا للسوق ليبيعا نفسيهما.. وكانت الفتاة بالغة الجمال فطمع بها أمير تلك القرية وأخذ يرفع بها السعر أما الشاب فلم يلتفت له أحد.. وهذا أمير القرية يرفع السعر حتى أوقف سعرها فاشتراها.. فركض له الولد ليعلمه أنه غير صادق وأن المسألة كانت من قبيل المزاح فقال له: كان ذلك قبل أن أشتريها، أما الآن فلا.. أعطاه ثمنها وأخذها وهي تصيح.. وجلس الشاب في سوق القرية يبكي ولا يعرف ماذا يفعل.. فرأته عجوز وسألته عن الخبر فصدقها الحديث. فقالت عليك بذلك الرجل في طرف السوق يبدو كالمجنون هو الذي يخلصها لك.. اسمه عيد الهراس.. لم يصدقها لأول وهله فشكله لا يوحي بما روت عنه ولكن لضيق حيلته سمع كلامها وذهب له فقال:

يا عيد أنا لي حاجتن محوج بها
من حرها ما يبرد الما لهيبها
أشكي عليك الحال يا عيد وأنت لي
أنته غريم النفس وأنته طبيبها

فأجابه عيد:

عيّد وانا عيد اللوازم اليا أقبلت
صبورن على الشدات يوم ابتلي بها

وان كنت أنـــا الهــراس أبــو محمــد

مــا تنفــع الشكــوى لمن لا يثيبـهــا

سأله عيـد عن الخبر. . فـأخبره. . فرسمـا خـطة للسطو عـلى أمير القرية في قصره وبقي الشـاب بالخـارج يراقب الـطريق، ودخل عيـد على الـرجل وقتله وخلص الفتـاة وأسلمها لابن عمهـا وأوصـاه أن لا يصبـح عليه الصبـح وهو بـالبلد وفعـلاً هـرب. . وعـاد عيـد لمكـانـه. وفي الصبـاح انتشر الخبـر فجـاءت العجـوز تسعى لعيــد فسـألتـه. . «أنت الضـاوي والا القعيـد» أي أنت الــذي دخلت أو الذي راقبت الطريق. . عرف أنها على علم بالحكايـة فاستـل خنجره وقتلها فمات الخبر.

* * *

محمد الشبرمي

تنسب هذه الحكاية لمحمد الشبرمي . . وقد كنت أسمعها منذ سنوات ولا أعرف اسم صاحبها إلا إن راوينا أكد اسمه . . يقول:

مجموعة من قطاع الطرق سطوا على إبل أهل القرية التي يسكنها محمد الشبرمي . . فأخذوها . . ولحق بهم أهل القرية وخلصوا الإبل منهم وحالوا بينهم وبين الصحراء يدفعونهم ناحية القرية لكي يمسكوا بهم فما كان من المجموعة إلا أن رأوا ذلك البيت فدخلوا به وأغلقوا الباب . . كان البيت لمحمد الشبرمي الذي خرج لهم . . فقالوا دخل الدخيل وسلم . . أي دخلنا بيتك فسلمنا . . فلم يعد يعرف ماذا يعمل، أهل القرية يريدونهم وهم في بيته . .

قص أهل القرية الأثر فعرفوا أنهم ببيت محمد هذا . . فتجمعوا بالخارج يطالبونه بتسليمهم . . وهو يمانع حتى ضعف ونوى تسليمهم . كانت ابنته من وراء ساتر ترقب وتستمع . . فضربت الحائط بيدها والتفت لها أبوها فأنشدت تقول:



بعـذر السحاب اليـا تـرزم[1] ولأهـل

وبعـذر والي العـرش لـوما سقـانـا

أخذ الدخيل[2] وداخل البيت مـاحل

لـولاه وامن[3] جـانبـه مـا نصـانـا[4]

المـرة الأخـرى يجـنـب[5] اليـاذل

مـا ضاقت الـدنيـا عليهم حـذانـا[6]

تحـزمـوا يـا لغـوش لـو مـالكم ذل

لـو مـرشـدن حي بسيفـه حمـانـا[7]

«التـزمت القصيـدة في الشـطر الأول الألف قبـل الحـرفـين الأخيـرين.. ولاهل.. مـاحـل ولكن بـالبيت الأخـير خـالف ذلـك الوزن صحيح دون التزام».

حركت الفتاة حميـة والدهـا.. وأيقظتـه من الغفلة فاستـل سيفه وخـرج لأهل القـرية يهـدد ويتـوعـد من يقـربهم وهم في منـزلـه فلم يقربوهم.. وسـار معهم حتى أخرجهم إلى الصحـراء حيث انطلقـوا من حيث أتوا...

* * *

(١) ترزم: أي تجمع ولم يمطر.. فهو معذور..
(٢) أخذ الدخيل: من استجار بنا يؤخذ من بيتنا.
(٣) وآمن: آمن على نفسه.
(٤) نصانا: دخل علينا.
(٥) يجنب: يبعد عنا بعد أن يعرف خوفنا.
(٦) حذانا: غيرنا.
(٧) الابنة تتمنى أن يكون (مرشد) موجود فهـو الذي يعـرف كيف يحمي الدخيـل وهي تثير حمية والدها بذلك..

وأخيراً

تراثنا زاخر . . وقصصه وحكاياته دليل أصالة البدو وحضارتهم رغم أنهم لم يسكنوا المدن وظلوا على ترحالهم خلف إبلهم يصلحون لها المراعي ويموتون دفاعاً عنها . . ويصنعون حضارتهم بمواقفهم وأشعارهم وتراثهم الذي تناولت بهذا الكتاب جزءا مشرفا منه . .

وأود قبل الختام أن أشير إلى أن هذه الحكايات بالرغم من تفاوت الوقت بين حكاية وأخرى واختلاف الأبطال من حيث الزمان والمكان وابتعاد كل بطل عن الآخر بمواقع القبيلة إلا أن هناك ظواهر متفقه في حكايات البادية . .

فالعقد تقريباً متحدة . . والحلول متحدة ومواقف الاعتبار وأخذ العظة أيضاً متفقة . . حتى يخيل إليك أنه بطل واحد يمر بعدة مواقف . . فالفروق بسيطة جداً بين الشخصيات رغم اختلافها واختلاف المواقع . . وهذه الظاهرة جديرة بالإشادة بها حيث تدلنا دلالة واضحة على أصالة البدو وحضارتهم بالسمو النفسي والترفع عن الصغائر بلا تكبر والتواضع بدون اسفاف . .

وهـذه مقـومـات الحضـارة الحقيقية. . مجتمـع يتلقف الشهـامـة والمروءة ويتسابق لنيل مكارم الأخلاق ويتباهى بـالفعل الـطيب الذي لم يسبقه أحد إليه. .

ومن هنـا كانت الآراء دائـماً تتفق عـلى إثبـات هـذه الحكـايـات بالكتب لتبقى خالدة كما خلد أبطالها على مر الأجيال. .

(المؤلف)

الفهرس